الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة –

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

أدب الصداقة في العصر العباسي، رسالة "الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
* أسماء وجعي

إشراف الأستاذ:
* هشام باروق

السنة الجامعية:2021/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

*وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقة، وها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل همة ونشاط وأمتن لكل من كان له الفضل في مسيرتي الدراسية وساعدني ولو باليسير.

*إلى خالد الذكر وصاحب السيرة العطرة، إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من وافته المنية منذ سنوات، أبي الغالي " جمال " رحمك الله وأسكنك فسيح جناته، ستبقى كلماتك نجوما و نورا أهتدي به اليوم وغدا وإلى الأبد.

*إلى من وضع المولى عز وجل الجنة تحت أقدامها، إلى التي لم تدخر جهدا في سبيل إسعادي وغمرتني بحنانها، *إلى من ربتني صغيرة ونصحتني كبيرة، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، أمي الغالية " فتيحة " أطال الله في عمرك وكتب لك دوام الصحة والعافية .

*إلى من أعتمد عليهما في كل صغيرة وكبيرة، إلى سندي في الحياة، إلى من قاسماني أفراحي وأحزاني، إلى كل حياتي وسر سعادتي، إلى من هما بمثابة عيني، أخوي "صالح "و" أسامة " دمتما سندا لي وأبقاكما الله بجانبي.

*إلى توأم روحي ورفيقة دربي، إلى الصغيرة التي أرى الأمل في عينيها والسعادة في ضحكتها، إلى شعلة البيت ومصباحه، إلى الوجه المفعم بالبراءة، أختي الوحيدة " آية " حفظك الله وحقق آمالك وأمانيك.

*إلى جميع أساتذتي الذين رافقوني من بداية مشواري الدراسي إلى نهايته.

*إلى جميع أفراد أسرتي كلٌّ باسمه وصفته ومكانته، صغيرهم وكبيرهم.

*إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي، إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء، إلى ينابيع الصدق الصافية، إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والمرّة سرتُ، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني كيف لا أضيعهم، إلى صديقة يقارب عمر صداقتنا عمري" سارة "، إلى المخلصات: "روميسة، خولة، أحلام، عبير، نجية، منال، بثينة، سماح ".

*إلى زملائي ومعارفي الذين أُجلّهم وأحترمهم، إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي.

أهديكم بحث تخرجي، أهديكم فرحتي التي انتظرتها طويلا داعية المولى عز وجل أن يطيل أعماركم ويرزقكم ويحقق أمانيكم.

ـ أسماء ـ

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في كتابه الكريم:

{{**رَبِّ أَوزِعنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلْ صالِحًا تَرْضَاهُ وأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** }}.

[سورة النمل، الآية 19]

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد:

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لمن كان له الدور الأكبر في توجيهي وإرشادي لاختيار موضوع رسالتي الأستاذ "**هشام باروق**" الذي لم يبخل عليَّ بتوجيهاته القيمة،

ولم يتوان في مدّ يد العون بالتوجيه والإرشاد حتى استوى هذا البحث، فجزاه الله عنّي خيرَ الجزاءِ.

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الأجلاء، **أعضاء لجنة المناقشة** على تحملهم أعباء قراءة هذه المذكرة وتقويم اعوجاجها، وتكرّمهم لمناقشتها وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات.

والشكر موصول لكل من أسدى لي نصحا أو إرشاداً.

الطالبة: أسماء وجعي

مقدمة

موضوع الصداقة موضوع قديم قدم الإنسانية، فيه تتجاوب عواطف النفس البشرية، وعلى صفحاته تنعكس نفسيتها وروحها، أُولع به الأدباء، والشعراء، والفلاسفة، والعلماء، فأمعنوا في البحث عن حقيقة هذه الرابطة العجيبة، وتعريفها، وتحديدها، وتحليل دوافعها، وأسباب دوامها أو فسادها، وقد كانت الصداقة ولازالت ضرورة مُلحة للإنسان كونها تُمثل ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية، عالجها الأدب العربي شعرا ونثراً بمظاهرها المختلفة، كونها السجل الصادق للقيم الأخلاقية، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يعيش إلا ضمن مجموعات، وهو بحاجة إلى تكوين علاقات مع أخيه الإنسان، ليأنس به من خلالها، وليكون عونا له على مواجهة تحديات الحياة وصعوبتها.

ولتأثيرها وأهميتها حظيت الصداقة على مدى العصور المختلفة باهتمام كبير من المفكرين، والأدباء، وعلماء النفس، والفلاسفة، وكان من أهم الأدباء والفلاسفة الذين قدّموا تصورا واقعيا للصداقة وما يتعلق بها، الأديب الفيلسوف "**أبو حيان التوحيدي**"، فهو الذي آلمته الحياة، وجرّعته كأس المرارة والحرمان واليأس، فدُفع بمزاجه ونفسيته وظروف حياته إلى التفتيش عن الصداقة، وإعطائها مكانة خاصة في علاقاته مع الناس، وكذا العناية بموضوعها، فالصديق على حد تعبيره حلو، ووصف الصاحب المساعد مُطرب، كما أنه يرى أن في حديثه عن الصداقة شفاء للصدر وطرد للغيظ وتعليل للنفس.

وعلى الرغم من تناول عدة شعراء لمسألة الصداقة في أشعارهم، وكذا تقديم بعض أدباء وفلاسفة العرب ومفكري المسلمين تصورات مختلفة عن هذه المسألة، كأبي حامد الغزالي، وابن المقفع، إلا أن أبا حيان التوحيدي كان كثير اللهج في أحاديثه بموضوع الصداقة والصديق، كثير التحدث عنه لعلوقه بنفسه، وقد كان مسوقا بحكم الواقع والذوق الأدبي والضرورة إلى أن يُطيل الحديث عن الصداقة وقيمها في مختلف المجالس، حتى طُلب منه تدوين وجمع ما يقوله عنها، فأفرد لتلك الأمنية التي راودته، وذاك الموضوع الذي شغل باله مؤلفا خاصا ومختلفا، تحت مسمى "**رسالة الصداقة والصديق**"، هذه الرسالة التي تثير في فكر الباحث مجموعة من التساؤلات خصوصا بعد قراءتها، فهي الفريدة من نوعها في الأدب العربي بأسلوبها، ونهجها، ومضمونها، ومن بين هذه **التساؤلات** نذكر:

- **هل للعصر العباسي خصائص إنسانية وأخلاقية جعلت من الصداقة فيه قيمة متميّزة؟**

- ما هي قيمة الرسالة؟ وما هو موقعها بين آثار أبي حيان التوحيدي؟

- كيف كانت نظرة التوحيدي إلى الصداقة والصديق؟

- ما هي المنابع التي استقى منها رسالته؟

- ما هي المضامين والموضوعات التي حملتها هذه الرسالة؟ وكيف رتبها التوحيدي؟

وبفعل هذه التساؤلات التي حركت فيّ روح البحث، وبتوجيه من الأستاذ المشرف الذي طلب مني العودة إلى التراث العربي، وسبر أغواره، والتعرف على ما يحتويه الأدب العربي من زخم فكري ومعرفي، وثراء إبداعي وجمالي، وخاصة فيما يتعلّق بالقضايا ذات الطابع الأخلاقي والإنساني، ومنها موضوع "الصداقة"، لهذه الأسباب انتهى بي التفكير إلى **اختيار الموضوع** الذي يجعل من تلك الرسالة الفريدة مدونة للدراسة بتحليل خصائص وسمات الصداقة، شروطها ومقوماتها حسب رأي هذا الأديب الفيلسوف، فجمعت موضوع دراستي تحت عنوان" **أدب الصداقة في العصر العباسي، "رسالة الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي نموذجا**"، إذ يتناول هذا البحث رسالة الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي بالتحليل والمناقشة بعدما اتخذتها في بحثي هذا كنموذج لدراسة أدب الصداقة في العصر العباسي.

ولقد اخترت موضوع بحثي **مدفوعة بجملة من الأسباب** الذاتية والموضوعية، أولها يعود لإعجابي ورغبتي في الولوج إلى عوالم هذه النفس المضطربة (التوحيدي)، والتعرف على هذه الشخصية الفريدة التي تثير الفضول والدهشة، وتدعو إلى العجب. وأما الموضوعية منها، فتتمثل في كونه شخصية أدبية تمكنت وسط مجتمع منهار القيم والأسس الاجتماعية والاقتصادية أن يرتقي عاليا بكتابات أقل ما يقال عنها إنها قمة الإمتاع والإقناع، جمعت بين علياء الفكر وسقطات الوجدان، وقد استطاع هذا الأديب البائس أن يستوعب الزخم الفكري والثقافي والرقي العقلي في ذلك العصر، ويعبر عنهما تعبيرا صادقا رفيعا، وينقل ثقافة عصر متناقض متضارب في كتاباته التي شكلت صورة متميزة وفريدة من صور أدب الصداقة في العصر العباسي.

وبالرغم من **أهمية هذا الموضوع**، وتطرق العديد من الأدباء والمفكرين إليه، إلا أنني لاحظت قلة الدراسات التي عنيت بقيمة الصداقة في مختلف المؤلفات، وبالأخص في النثر العربي، ذلك أنني لم أجد فيما وقع تحت يدي من المؤلفات والرسائل ما تحدث عن

الصداقة عند التوحيدي بشيء من التفصيل والإسهاب، عدا بعض المقالات كمقال الباحثة: **زاهد روسان، بعنوان "فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي"**، وهو ما يشي بندرة الأبحاث والدراسات في هذه المسألة.

وقد كانت عُدّتي في هذه الدراسة مجموعة من **المصادر والمراجع** :

- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري.
- أحمد عبد الهادي، أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة.
- كميلة واتيكي، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة.
- رسالة ماجستير للطالبة سعاد جوهري، بعنوان: بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي.

وقد شدّني إلى اختيار هذا الموضوع الرغبة في تحقيق مجموعة من **الأهداف** من أهمها:

- بيان أهمية الصداقة للفرد والمجتمع، باعتبارها من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تلبي حاجة نفسية وفطرية لدى الفرد، كما أن لها أثرا في ترابط المجتمع وقوة تماسكه، فقد اهتم بها الأدباء والمفكرون منذ قرون مضت.
- إبراز قيمة الصداقة وعناية الأدباء والمفكرين والفلاسفة بها على مر العصور وتوالي الحضارات؛ اليونانية منها، والرومانية والعربية الإسلامية.
- الوقوف على رؤية أحد أبرز أدباء وفلاسفة العرب في القرن الرابع الهجري للصداقة، تعريفه لها، مقوماتها وشروطها...إلخ.

وقد استدعت طبيعة الموضوع الذي يسعى إلى دراسة "رسالة الصداقة والصديق" **دراسة موضوعاتية**، والعمل على تحليلها بدقة إلى تبني **المنهج الموضوعاتي**، مع الاستعانة بآليتي الوصف والتحليل لاكتناه مفهوم الصداقة، ومقوماتها، وشروطها عند التوحيدي.

على أساس هذه التصورات انتظمت دراستي في فصلين وخاتمة؛ جاء **الفصل الأول** المعنون ب: **ماهية الصداقة وآراء المفكرين و الأدباء فيها**؛ حيث فصلت الحديث فيه عن مفهوم الصداقة في كتب اللغة وفي الاصطلاح الفلسفي والاجتماعي والنفسي، وفي

التراثين اليوناني والعربي الإسلامي، وخاصة في الشعر العباسي، أما **الفصل الثاني** فحمل عنوان: **خصائص الرسالة ومضمونها وموضوعاتها**، وتحدثت فيه عن عصر التوحيدي وسمات حركته العلمية والأدبية، ثم خصصت الحديث عن الرسالة ومضمون أهم عناصرها، والمصادر المعتمدة في كتابتها.

ثم أنهيت البحث **بخاتمة** ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها.

والجدير بالذكر أن طريق هذا البحث لم يكن ميسرا مثلما كنت أرجو وإنما قد اعترضت طريقي **صعوبات وعراقيل** أبرزها:

نقص المراجع المتخصصة في جزئيات الموضوع، وقلة الدراسات التحليلية لقيم الصداقة في كتاب التوحيدي، وإن وجدت فهي لا تتضمن سوى إشارات عابرة لا تروي ظمأ هذا البحث، كما وجدت صعوبة في تقسيم بعض مباحث المذكرة لارتباط أفكارها بعضها ببعض، إضافة إلى تزامن تحضير المذكرة مع التزامات أخرى عملية، فصعب بذلك عليّ التوفيق بين تلك الالتزامات وبين رغبتي في إيفاء الموضوع حقه من العناية والبحث اللازمين له.

ولم يكن لهذا البحث أن يخرج على هذه الصورة لولا توفيق الله عزّ وجل وتوجيهات الأستاذ المشرف "**هشام باروق**" الذي لم يدخر جهدا في تقديم يد العون والمساعدة، والذي استفدت من خبرته العلمية والمنهجية، ما دلّل الكثير من الصعوبات ويسّر المضيّ فيه، وقد كان نعم المشرف والموجّه، فله منّي جزيل الشكر والامتنان، وجزاه الله عنّي وعن أهل العلم خير الجزاء ووهبه الصحة والعافية.

الفصل الأول:

ماهية الصداقة، وآراء المفكرين والأدباء فيها

تمهيد:

يحظى موضوع الصداقة باهتمام واسع المدى لا تنحصر حدوده في إطار الدراسات النفسية والاجتماعية فحسب، بل يتسع نطاقه ليشمل كل مجالات الحياة الإنسانية من فلسفة وفنون وآداب بوصفها جسرا يمر عبره الآخرون في علاقاتهم اليومية وينشؤون أدق الجماليات من خلال التواصل النفسي والفكري والأخلاقي والروحي لمشوار حياتي طويل، والصداقة بين الناس فطرية في أساسها لهذا توفرت في الأدبيات المختلفة حقائق كثيرة عن الصداقة وحِكَم وأمثال وحكايات وقصص وشواهد عبّرت عن هذه القيمة الاجتماعية والروحية.

فالاهتمام بالصداقة ليس وليد حياتنا المعاصرة، بل هو اهتمام عريق يضرب في أعماق التاريخ نظرا للمكانة الرفيعة التي شغلتها الصداقة دائما بوصفها قيمة إنسانية عظيمة الأثر في حياة الفرد والجماعة والمجتمع.

1-مفهوم الصداقة

1.1-مفهوم الصداقة في كتب اللغة

جاء في **لسان العرب** لابن منظور: "الصداقة والمصادقة المخاللة، وصدقه النصيحة والإخاء أمحضه له، وصادقته مصادقة وصداقا: خاللته، والاسم: الصداقة، وتصادقا في الحديث وفي المودة، والصديق المصادق لك، والجمع: صُدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق"[1].

وجاء في **مختار الصحاح:** " الصداقة والمصادقة المخاللة، والرجل صديق، والأنثى صديقة، والجمع أصدقاء، وقد يقال للجمع والمؤنث صديق".[2]

وفي **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس نقرأ أن: "الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة الشيء قولا وغيره، من ذلك الصديق، وخلافا للكذب، سُمي لقوته في نفسه، ولأن

---

[1]/ابن منظور، **لسان العرب، مادة** (ص د ق)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1996، ص307.

[2]/محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، ضبط وتخريج: مصطفي ديب البغا، بيروت، 1985، ص234.

الكذب لا قوة له، هو باطل...والصديق: الملازم للصدق...والصداقة مشتقة من الصدق في المودة...".[1]

وقد بيّن أبو هلال العسكري أن المراد بالصداقة: "اتفاق الضمائر على المودة..."، فجاء في مجمع **الفروق اللغوية:** "الصداقة مأخوذة من الشيء الصدق، وهو الصلب القوي، والصداقة: اتفاق الضمائر على المودة، فإذا أضمر كل واحد من الرجلين مودة صاحبه فصار باطنه فيه كظاهره سُميا صديقين".[2]

كما وضح أبو هلال الفرق بين الصاحب والقرين، إذ تفيد الصحبة انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، ولهذا يُقال للآدميين خاصة، فيقال: صحب زيد عمر، ولا يقال: صحب النجمُ النجمَ، أما المقارنة فتفيد قيام أحد القرينين مع الآخر، وجريانه على طريقته وإن لم ينفعه، ومن ثم قيل: قران النجوم، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الآخر بحبل قرينان". [3]

وجاء في **المعجم الوسيط:** "صادقه مصادقة وصداقا؛ اتخذه صديقا، وتصادقا تصاحبا وتوادا، والصداقة: علاقة محبة ومودة بين الأصدقاء".[4]

يقول أبو حيان التوحيدي: " قلت للأندلسي: ممّ أُخذ لفظ الصديق؟ قال: أُخذ بنظر من الصدق، وهو خلاف الكذب. ومرةً قال من الصدّق، لأنه يُقال: رُمح صدقٌ، أي صلبٌ، وعلى الوجهين، الصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقا إذا عمل، قال: وصداقة المرأة وصداقها وصدقتها كله منتزع من الصدق والصدّق، وكذلك الصادق، والصديق، والصدوق، والصداقة، والمتصدق، والمصدق، كل هذا متواخي".[5]

إذ بيّن أبو حيان التوحيدي أن الصديق لفظ مشتق من الصدق، وهو خلاف الكذب، أو من الصدْق، حيث يُقال: رمحٌ صدْقٌ، أي صلب، وعلى الوجهين يكون الصديق صادقا؛ أي غير كاذب إذا تحدث، ويكون صدقا أي صلبا جادا إذا عمل.

---

[1]/ ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، مج3، دار الجيل بيروت، ط1991،1م، 339-340.

[2]/ أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص319.

[3]/ المرجع نفسه، ص318.

[4]/ المعجم الوسيط، **مجمع اللغة العربية**، مكتبة الشروق الدولية، 2003م، ص510.

[5]/ أبو حيّان التوحيدي، **رسالة الصداقة والصديق**، تح: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1998،2م، ص88.

وهكذا نرى أن المادة اللغوية للصديق (ص، د، ق) تدور في المعاجم اللغوية على اختلافها، حول الصدق وعدم الكذب والقوة والصلابة.

هذا وقد وردت لفظة الخليل في القرآن الكريم بدلا من الصديق في أكثر من موضع، يقول الله تعالى:

{ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىٰ ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ }.[1]

وقال أيضا: { ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ }.[2]

وإذا كان أبو هلال العسكري قد فرّق بين الصاحب والقرين، كما مرّ بيانه – حيث ذكر أن الصحبة تختص بالآدميين، بينما المقارنة تختص بغيرهم– فإن القرآن الكريم عبّر بالقرين عن الشخص في أكثر من موضع، حيث قال الله عز وجل: {قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ }.[3]

وقال أيضا:{ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ }.[4]

[1]/ سورة الفرقان، الآيات 26–29.

[2]/ سورة الزخرف، الآية 67.

[3]/ سورة الصافات، الآيات 51–54.

[4]/ سورة ق، الآيات 23–28.

2.1-الصداقة في الاصطلاح الفلسفي والاجتماعي

هناك ترابط واتفاق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ويوضح ذلك ما ذكره صاحب **المعجم الفلسفي** أن "الصداقة: علاقة عطف ومودة بين الأشخاص، تقوم على الاختيار والتفضيل، منشؤها التعاطف والمشاركة في الميول، وأساسها المساواة، تقومها الألفة والمخالطة".[1]

ويؤكد هذا المعنى صاحب "**موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية**" الذي عرّف الصداقة ببعض أوصافها ومقتضياتها، حيث قال: "أما الصداقة: فهي محبة صادقة يهتم معها بجميع أسباب الصديق، وإيثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به".[2]

ويذهب "**معجم العلوم الاجتماعية**" إلى أن الصداقة: "علاقة بين الناس تقوم على التعاطف والألفة الروحية ووحدة الميول والاهتمامات...، وهي تتميز بطابعها الشخصي على عكس العلاقات الأخرى".[3]

كما عُرفت من الجانب الاجتماعي بأنها: علاقة اجتماعية وثيقة تقوم على مشاعر الحب والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر...".[4]

بينما نجد دراسة أخرى تُعرّف الصداقة وتضع من مكوناتها وأسس قيامها وجود الحب "فنعرف الصداقة بين أبناء الجنس الواحد-أي صداقة الذكور للذكور والإناث للإناث- بأنها علاقة اجتماعية وثيقة تقوم على مشاعر الحب والجاذبية المتبادلة بين شخصين أو أكثر، وتميزها عدة خصائص من بينها: الدوام النسبي، الاستقرار، والتقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء، مع توفر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية، والقدرات العقلية، والاهتمامات والتفضيلات والاتجاهات والقيّم

---

[1]/ جميل صليب، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982، ص722.

[2]/ سميح دغيم، **موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي**، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2000، ص638.

[3]/ توفيق سلوم، **معجم العلوم الاجتماعية**، مصطلحات وأعلام، بيروت، لبنان، 1992، ص192.

[4]/ أحمد المجذوب، **الصداقة والشباب**، الدار المصرية-اللبنانية، بيروت، 2001، ص21.

والظروف الاجتماعية... ولا يُشترط في تعريف الصداقة توافر كل المقومات المشار إليه، بل الشائع أن تتباين أهميتها من صداقة إلى أخرى".[1]

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن الصداقة: علاقة اجتماعية أساسها المودة والمحبة، وتقوم بالمشاركة الوجدانية والتعاون في السراء والضراء، يختارها الإنسان بمحض اختياره وإرادته.

3.1-الصداقة في مجال علم النفس

لقد أورد **أنجليش English** التعريف التالي للصداقة: "الصداقة علاقة بين شخصين أو أكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية تخلو من الرغبة الجنسية".

كما عُرفت في سياق آخر؛ بأنها علاقة اجتماعية وثيقة ودائمة تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصة وتحمل دلالات بالغة الأهمية تمس توافق الفرد واستقرار الجماعة.[2]

ويضيف **سيرز sears** وزملاؤه إلى تعريف الصداقة بوصفها علاقة اجتماعية وثيقة، ثلاث خصائص أساسية تميزها وهي:[3]

1) الاعتمادية المتبادلة، التي تبرز من خلال تأثير كل طرف في مشاعر ومعتقدات وسلوك الطرف الآخر.

2) تشمل العلاقات الوثيقة أنماطا مختلفة من النشاطات والاهتمامات المتبادلة، حيث يميل الأصدقاء إلى مناقشة موضوعات مختلفة، كما يشتركون في ضروب متنوعة من النشاطات والاهتمامات بالمقارنة بالعلاقات السطحية التي تتركز في أغلب الأحوال حول موضوع واحد أو نشاط واحد.

---

[1]/أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص40.

[2]/عيسي السماش، "**الصداقة عند الشباب الجامعي-طلبة كليتي التربية والعلوم بجامعة دمشق نموذجا**"، مجلة **جامعة دمشق**، مج28، ع2، 2012، ص18.

[3]/أسامة سعد أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص28.

3) قدرة كل طرف من أطراف العلاقة على استثارة انفعالات قوية في الطرف الآخر وهي خاصية مترتبة على الاعتمادية المتبادلة بين الأصدقاء، إذ تُعدّ مصدرا لكثير منم من المشاعر الإيجابية أحيانا.

وفيما له صلة بالاعتمادية المتبادلة كخاصية للصداقة يُعرف **رايت Wright** و**كيبل Keple** الصداقة بأنها علاقة تتميز بوجود قدر من الاعتماد المتبادل يجري بشكل إرادي ويسمح بالتفاعل الشخصي المباشر والمتفرد، ويترتب عليه أن يكون تفكير كل طرف في خططه ونشاطاته معتمدا إلى حد بعيد على تفكير الطرف الأخر في نفس الأمور دون قيد أو ضغط خارجي؛ وفي ظل تلك العلاقة يحصل الأصدقاء على فوائد متنوعة، تشمل:[1]

- ✓ المساندة والتشجيع ودعم الثقة بالنفس والتقويم الإيجابي للذات.
- ✓ التحقق من صحة الأفكار والآراء الشخصية بعد تهيئة الظروف الميسرة للإفصاح عنها.
- ✓ التنبيه STIMULATION حيث يتميز الأصدقاء بالقدرة على توسيع الأفكار والمعارف والرؤى الشخصية لموضوعات متعددة.
- ✓ النفع المباشر بتسخير الوقت والموارد الشخصية لخدمة الصديق وتلبية حاجاته.

[1]/أسامة سعد أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص28.

2-الصداقة في التراثين اليوناني، والعربي الإسلامي

من الأحسن -قبل أن أخوض في الحديث عن أدب الصداقة من خلال كتاب الصداقة والصديق للتوحيدي-أن ألتقط الخيط من أوله، وأن أتكلم أولا عن بعض المظاهر التي تكشف أن الاهتمام التاريخي بالصداقة وبأثرها في الحياة الإنسانية بالغ القدم، ولهذا الغرض خصصت هذا المبحث الذي تناولت من خلاله الصداقة في كل من التراثين اليوناني، والإسلامي، وأكتفي هنا بتقديم نماذج محدودة، غير أنها كاشفة عن احتفال التراث الإنساني بالصداقة.

1.2-الصداقة في التراث اليوناني

1.1.2-ماهية الصداقة وأهميتها عند آرسطو

كان أرسطو مُلماً بأصناف متنوعة من الفلسفات ومنها الفلسفة الإلهية والطبيعية، والفلسفة السياسية، وكذا الفلسفة الأخلاقية، وله في كل صنف منها مؤلفات عديدة، إلا أن من الآثار العظيمة التي لا تنكر أثره في فلسفة الأخلاق، حيث خصص لها قسطاً كبيراً من اهتمامه، فألف فيها مؤلفات عديدة، لكن أهمها على الإطلاق كتاب "**علم الأخلاق إلى نيقوماخوس**"، وفيه يتحدث عن الأخلاق والفضائل.[1]

وهذا الكتاب كما ذكرت من أهم الكتب التي وضعها أرسطو في فلسفة الأخلاق، ولذا قال عنه جورج طرابيشي أنه: «بكل ما في الكلمة من معنى رائعة من الروائع».[2]

ونظراً لأهمية هذا الكتاب وقيمته العالية بين مؤلفات أرسطو بالإضافة إلى تخصيصه جزءًا لا يستهان به من الكتاب للحديث عن الصداقة، سيكون هو المرجع الرئيس في الكشف عن رؤيته للصداقة ووصفه الدكتور بدوي بأنه أهم كتبه وأكملها وأوضحها وأنضجها.[3]

---

[1]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، "**الصداقة بين أرسطو والغزالي**"، حولية **كلية أصول الدين والدعوة** بالمنوفية، جامعة الأزهر، ع37، ص12.

[2]/ جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، ص55.

[3]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص13.

أ/ ماهية الصداقة عند أرسطو.

تُعدّ الصداقة عند أرسطو فضيلة من الفضائل المهمة، حيث يقول «هي ضربٌ من الفضيلة»[1]، وطالما ربط الصداقة بالفضيلة واعتبرها ضرباً من ضروبها، ولهذا لابد من توضيح مفهوم الفضيلة في رأيه، ومن خلالها يتبين لنا ماهية الصداقة.

جوهر الفضيلة في رأي أرسطو هو "الوسط" حيث إن الفضيلة عنده في الوسط وهو الاعتدال، ونشأت من هنا نظريته المعروفة بنظرية الأوساط؛ أي أن كلّ فضيلة وسط بين رذيلتين. ومن هنا طبق أرسطو هذا المبدأ على الصداقة حيث يرى أن الوسط يتعلق بملاءمة الحياة العادية، فالرجل الذي يعرف أن يكون مقبولاً عند أمثاله، كما ينبغي أن يكون هو الصديق، والوسط الذي يوجد هذا الخلق هو الصداقة.[2]

فأرسطو ربط بين مبدأ الوسطية والصداقة، فخرج من هذا الربط بأن الصداقة هي وسطٌ بين قبول الناس ورفضهم للشخص المراد صداقته، ومع ربط أرسطو الصداقة بمبدأ الوسط، نجد أنه قد ربطها بالاستعداد النفسي لدى الغير لقبول الشخص المراد صداقته، فمن كان مقبولاً عند أمثاله وأكفائه من الناس هو الذي تصلح صداقته، وأما الذي ينفر منه الناس فلا ينبغي أن يصادق. كذلك فإن الشخص الذي يحاول تحسين خلقه وتجميل صورته تكلفاً منه وتصنعاً حتى يحظى بالرضا والقبول بين الناس، لا تصلح صداقته ولا يُسمّى صديقاً، من وجهة نظر أرسطو، وإنّما يُسمّى "مُسايراً"، وكذا الذي يفعل ذلك لنيل منفعة شخصية يسمى "مُتملقا".

يقول أرسطو: "أما ذلك الذي يسعى دائما إلى الإرضاء إذا لم يقصد إلا أن يكون مقبولاً، وبدون أن يكون له سبب آخر فإنه يسمى المساير، لكنه إذا سلك كذلك لتعود عليه منفعةٌ شخصية، كما إذا قصد بذلك الإثراء أو الحصول على الأشياء التي تسببها الثروة، فذلك هو المتملق".[3]

---

[1]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، تر: أحمد لطفي السيد مطبعة دار الكتاب المصرية، 1923، ج3، ص219.

[2]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص13.

[3]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص41.

وهناك صنفٌ آخر من الناس لا يكترث بقبول الناس له أو رضاهم عنه، ولا يعيره أدنى اهتمام، وهذا الصنف سماه أرسطو بالشرس والصعب في المعيشة.

وهذان الصنفان من الناس مذمومان عنده، ولهذا فإنه يلقي باللائمة عليهما؛ حيث يرى من غير حاجة إلى بيان أن هذين الوضعين المتقابلين كلاهما باللوم جدير، وأنه لا شيء ممدوحٌ إلا الوضع الوسط الذي يحمل المرء على أن يقبل أو يرفض، كما ينبغي من الناس أو الأشياء ما ينبغي قبوله أو رفضه، فإن هذا الوضع الحكيم لم يُسمَّ باسم خاص، ولكنه يشبه الصداقة كثيراً.[1]

وفي إطار تحديده لماهية الصداقة، اعتبر أرسطو أن الصديق الحق لابد وأن يكون فيه ميل إلى التعاون مع الناس وألفةٌ لا بهدف الحصول على منفعة شخصية أو الوصول إلى مصلحةٍ فردية، و إنّما يفعل ذلك بنية خالصة ومحبة متجردة للناس، ولذا فهو يفعل ذلك مع من يعرف ومن لا يعرف.

يقول أرسطو: "بحيث نكون مستعدين إلى أن نسميه صديقاً حقاً، إذا جمع إلى معروفه شعوراً بالميل لنا، ولكنه يخالف الصداقة في أن قلب ذلك الإنسان لا يشعر بعاطفة البتة، وأنه ليس مرتبطاً جد الارتباط بأولئك الذين يلتقي بهم لأنه ليس لحب ولا لبغض يصطنع الأشياء كما ينبغي، بل لأنه هكذا خلق، ذلك حقٌ إلا أنه يلزم دائماً هذا الخلق عينه مع من لا يعرفهم ومع من يعرفهم".[2]

ويندرج تحت ماهية الصداقة أيضاً من وجهة نظر أرسطو المشاركة الوجدانية والعطف المتبادل من كلا الصديقين، حيث يرى أن العطف متى كان متبادلاً يجب أن يعتبر كالصداقة.[3]

نستخلص من هذا أن ماهية الصداقة عند أرسطو: عبارة عن ضرب من الفضيلة محدودةٌ بحد الوسط بين الإفراط وهو القبول المفرط من الناس، أو التفريط وهو الرفض المطلق منهم.

---

[1]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص39.

[2]/ المرجع نفسه، ص 40.

[3]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص15.

وأساسها: محبة خالصة متجردة وعطفٌ متبادل بين الأصدقاء يدفعهم إلى التعاون فيما بينهم بلا مأرب شخصي أو منفعة دنيئة.

ب/أهمية الصداقة عند أرسطو

الصداقة قيمة من القيم الأخلاقية المجتمعية العليا، ولذا فقد عنى أرسطو عناية خاصة بها، حيث كان يرى لها أهميتها البالغة في الحياة الإنسانية، فقد عدّها أرسطو إحدى الحاجات الأشد ضرورة للحياة، لأنه لا أحد يقبل أن يعيش بلا أصدقاء ولو كان له مع ذلك كل الخيرات، وكلما كان الإنسان أكثر غنى، وعز سلطانه وعظم جاهه شعر –على ما يظهر– بالحاجة إلى أن يكون له أصدقاء حوله، فالصداقة من وجهة نظر أرسطو إحدى الفضائل التي لا يستغني عنها أحد.[1]

وقد عدّ أرسطو فوائد الصداقة وأهميتها بالنسبة للفرد سواء أكان شاباً أم شيخاً فقال: " الأصدقاء هم الملاذ الوحيد الذي يمكننا الاعتصام به في البؤس والشدائد المختلفة الأنواع، فحينما نكون شبانا نطلب الصداقة أن تعصمنا من الزلات بنصائحها، وحينما نصير شيوخاً نطلب إليها عناياتها ومساعدتها التي تقوم مقام نشاطنا". [2]

بالإضافة إلى أنه يعتبر الصداقة شيئاً فطرياً في الإنسان يحكم ميله إلى الاجتماع والتعامل مع الآخر، أضف إلى هذا أن قانون الطبع حيث يقضي بأن الحب يظهر أنه إحساس فطري في قلب الكائن الذي يلد نحو الكائن الذي ولده، هذا عن أهمية الصداقة بالنسبة للفرد كما رأى أرسطو.

أما عن أهميتها بالنسبة للدول والمجتمعات؛ التي سماها أرسطو الممالك،[3] فيمكن الذهاب إلى حد القول بأن الصداقة هي رابطة الممالك، وأن الشارعين يشتغلون بها أكثر من اشتغالهم بالعدل نفسه، فالصداقة هي الرابطة التي تربط أفراد المجتمعات (الممالك) بعضهم مع بعض، ولذا كان اهتمام المشرعين وواضعي القوانين بها اهتماماً بالغاً، وذلك لأن الانسجام بين الأهالي أشبه بالصداقة والمحبة، وهو ما تسعى إليه وتريده القوانين. [4]

---

[1]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص17.

[2]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص219.

[3]/ ينظر : محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص18.

[4]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص220.

ولأن أرسطو اعتبر أن أنبل الأمور التي تساعد في الوصول إلى السعادة هي الصداقة، فقد رأى أنه بالإمكان الاستغناء عن تطبيق العدل إذا شاعت الصداقة الحقة بين الناس، وهو يؤكد ذلك بقوله: "متى أحب الناس بعضهم بعضاً لم تعد حاجة إلى العدل، غير أنهم مهما عدلوا فإنهم لا غنى لهم عن الصداقة".[1]

فالصداقة في رأي أرسطو لها أهميتها في جعل الممالك والمجتمعات كلها وحدةً واحدة لا يحدث بين أفرادها شقاق؛ مما يكون له الأثر العظيم في استقراره، وإذا لم يكن هناك صداقة حقيقية في المجتمع كان هذا المجتمع عرضة للخلافات التي تمزق أركانه، ومن هنا كانت في رأيه أكثر أهمية من العدالة إذ لا حاجة للعدالة عندما يكون الناس أصدقاء، ولكن عندما يكون الناس عادلين مقسطين تبقى الصداقة نعمة وفضلا.[2]

2.1.2-أنواع الصداقة وشروطها ومقوماتها عند أرسطو

أ/أنواع الصداقة

قسم أرسطو الصداقة إلى ثلاثة أنواع تبعاً لبواعث المحبة بين الأشخاص ودوافعها، ومن وجهة نظره لا تخرج دوافع المحبة عن ثلاثة أمور حددها بقوله:

"بديهي أن كل شيء لا يمكن أن يكون محبوباً، فإن الإنسان لا يحب إلا الشيء القابل لأن يحب أي الخير أو الملائم أو النافع وعلى هذا يوجد".[3]

ولذا كانت دوافع المحبة عنده هي: الخير واللذة والمنفعة، وعلى هذا يوجد ثلاثة أنواع من الصداقة تقابل في العدد الأسباب الثلاثة للمحبة الناس:[4]

1. **النوع الأول:** وهو صداقة الخير أو الفضيلة، فيرى أرسطو أن المتحابين يريدون الخير بعضهم لبعض في نفس معنى السبب الذي هم به متحابون؛ أي أنهم لا يحبون بعضهم بعضا إلا من أجل الخير ونيل الفضيل، وتبعاً لهذا تكون صداقتهم متجردة وخالية من أي غرض شخصي سوى إرادة الخير.

---

[1]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص220.

[2]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص19.

[3]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص223.

[4]/ ينظر: محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص20.

2. **النوع الثاني:** وهو صداقة المنفعة، وفيه يرى أرسطو أن الناس الذين يحب بعضهم بعضا للفائدة التي تكون عند كل منهم للآخر، فهم يتحابون لا لذواتهم بالضبط، ولكن من جهة أنهم يجدون خيراً وكسباً ما من علاقاتهم المتبادلة، فهذه الصداقة لم تقم على أساس المحبة الخالصة المتجردة لذات الشخص، ولكن كان الهدف منها كسب مصلحة وتحقيق منفعة.

3. **النوع الثالث:** الصداقة من أجل اللذة، وهو لا يختلف كثيرا عن النوع الثاني عند أرسطو؛ فأصدقاء هذا النوع لا يتحابون إلا لأجل اللذات التي يجلها لهم هؤلاء الأشخاص ليس غير ولهذا كانت هذه الصداقة أيضاً ليست قائمة على المحبة الخالصة بين الأصدقاء، وإنّما من أجل الحصول على لذة من اللذات.

وهذان النوعان الأخيران وصفهما أرسطو بالصداقات العرضية التي سرعان ما تنقطع أواصرهما عندما تنتهي أغراضها، ويتحقق الهدف المرجو منه ؛ فيقول:" إن الصداقات من هذا النوع ينقطع بغاية السهولة لأن هؤلاء الذين أنفسهم أصدقاء لا يلبثون طويلاً مشابهين لأنفسهم، ومتى صار هؤلاء الأصدقاء لا نافعين ولا ملائمين انقطع حبهم حالاً، إن النافع أو المفيد لا ثبات له، بل هو يتغير من لحظة إلى أخرى على أتم وجه".[1] فصداقة اللذة تنعقد بسهولة وتنحل بسهولة بعد إشباع اللذة أو تغير طبيعتها.[2]

وهذا النوع من الصداقات أشار أرسطو إلى أنه يكثر عند الشباب، باعتبار أنهم تحكمهم الشهوة حسبما قال: "اللذة وحدها يظهر أنها هي التي توحي صداقات الفتيان، فإنهم لا يعيشون إلا في الشهوة".[3]

بينما أشار إلى أن صداقة المنفعة يميل إلى تطبيقها الشيوخ والعجائز من الناس، وبعد أن أوضح أرسطو سلبيات صداقتي المنفعة واللذة أكد على أن :صداقة الفضيلة هي أفضل صداقة، وتقوم على تشابه الفضيلة، وهي أكثر دواماً وأتمها وأعلاها درجة، لأنها لا تهدف إلى تحقيق مصلحة شخصية أو منفعة فردية أو لذة عاجلة.

---

[1]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص227.

[2]/ أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص15.

[3]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص229.

ويؤكد أرسطو هذا بقوله: " الصداقة الكاملة هي صداقة الناس الذين هم فضلاء والذين يتشابهون بفضيلتهم؛ لأن أولئك الذين يريدون الخير بعضهم لبعض من جهة أنهم أخيار، وأزيد أنهم أخيار بأنفسهم، أولئك الذين لا يريدون الخير لأصدقائهم إلا لهذه الأسباب الشريفة هم الأصدقاء حقاً".[1]

من هنا فرق أرسطو بين الصداقة الحقة والصداقة المزيفة، فالصداقة الحقّة هي التي تقوم بين الأفراد المتساوين في الفضيلة الذين يجمعهم حب الخير، أما الصداقة المزيفة فهي التي تقوم على أسس خاطئة كصداقة المنفعة أو اللذة، تلك كانت نظرة أرسطو إلى أنواع الصداقة.

ب/ شروط الصداقة عند أرسطو.

حتى تكون الصداقة ناجحة ودائمة غير منقطعة لابد أن تتحقق بعدة شروط.

يقول أرسطو: "إن صداقة من هذا القبيل– يقصد الصداقة الفاضلة أو التي ليست لغرض اللذة أو المنفعة – باقية كما يمكن أن يفهم بسهولة، مادام أنها مستوفية كل الشروط التي يجب أن توجد بين الأصدقاء الحقيقيين".[2]

وقد ألمح أرسطو إلى هذه الشروط وذكر مميزات كل شرط منها على النحو التالي:

1. المساواة.

يرى أرسطو أن الصداقة تقوم في الأساس على المساواة في المكانة الاجتماعية؛ حيث يتبادل الأصدقاء الخدمات ذاتها، أو يتعاوضون مزية بأخرى.

يقول أرسطو: "فإن كلا الصديقين يؤدي إلى الآخر الخدمات ذاتها، وأنّ كليهما يضمر للآخر المقاصد بعينها أو على الأقل أنهما يتعاوضان مزية بأخرى".[3]

والمساواة التي يقصدها أرسطو هي المساواة في إرادة المحبة والخير كل واحد منهما لصاحبه، وكذا المساواة في المكانة الاجتماعية "فالرجل الفاضل عندما يحب صديقه يريد خيره، وفي الوقت نفسه يريد خير نفسه، وهكذا يكون الخير متبادلاً بالمساواة بين

---

[1]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص229.

[2]/ المرجع نفسه، ص230.

[3]/ المرجع نفسه، ص242.

الصديقين من حيث إن كلا منهما يهدف إلى خير صديقه في الوقت نفسه الذي يهدف إلى خير نفسه، وهكذا يتحقق التوازن بين الأصدقاء".[1]

ومهما تنوعت أهداف الصداقة واختلفت أسبابها وغاياتها تظل المساواة والمماثلة شرطاً لا يمكن الاستغناء عنه للصداقة في نظر أرسطو، حتى لا يكون لأي من الأصدقاء منةٌ على الآخر، ولهذا يقول أرسطو: "ويمكن أن يشاهد أيضاً شيء مشابه لهذا بالنسبة للملوك، فإن الإنسان هو أنزل منهم في أمر الثروة إلى حد أنه لا يستطيع حتى أن يكون صديقهم، كما أن الناس الذين ليس لهم مكانة لا يفكرون في إمكان صيرورتهم أصدقاء للرجال الأعلين والأحكمين".[2]

فهو بهذا يحكم باستحالة عدم إمكان حدوث صداقة بين شخصين غير متكافئين أو متساويين، وذلك لأن الامتنان يكسوها تقلباً وتلوناً.

وأرسطو يربط هذا الشرط بشرط آخر ضروري للصداقة وهو:

2. أهلية الأشخاص للصداقة.

ويقول أرسطو عن هذا الشرط: "لاشك أن الناس يريدون بأمثال هذه الصداقات السريعة أن يكونوا أصدقاء، ولكنهم لا يكونونَهم ولن يكونِوهم حقاً إلا بشرط أن يكونوا أهلاً للصداقة".[3]

والأهلية للصداقة عند أرسطو يدخل فيها كل المعاني السابقة التي أدرجها أرسطو في الصداقة الحقة، من الحب وإرادة الخير المتبادلة والمماثلة والتكافؤ، ويربط بهذا الشرط شرطاً ثالثًا وهو: الثقة المتبادلة بين الصديقين.

3. الثقة المتبادلة بين الصديقين.

ويقول أرسطو عن هذا الشرط: "لا يمكن للصديقين أن يقبل كلاهما الآخر، أي لا يمكن أن يكونا صديقين قبل أن يظهر كلاهما أنه حقيقٌ بالمحبة، وقبل أن يتقرر في نفسيهما الثقة المتبادلة".[4]

---

[1]/ محمد السيد عبد المنصف الوزير، **الصداقة بين أرسطو والغزالي**، ص24.

[2]/ أرسطو طاليس، **علم الأخلاق إلي نيقوماخوس**، ص245.

[3]/ المرجع نفسه، ص231.

[4]/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والثقة المتبادلة تعني: أن يثق كل واحدٍ من الأصدقاء بصاحبه، فلا يفشي له عيباً ولا يبخل عليه بنصحٍ، وفي النوائب والملمات يكون المأوى له. فتزداد الصداقة قوة ومتانة، أما فقدان الثقة بين الأصدقاء يدمر الصداقة ولا يبقي لها أثراً .ولهذا اشترط أرسطو هذا الشرط.

4.الزمان.

ويقصد به: مخالطة الأصدقاء بعضهم لبعض زمناً حتى تتوطد بينهم أواصر الصداقة وتصبح عاداتهم متقاربة مألوفة، حيث ينبه أرسطو إلى أن "الصداقة الحقة لا تتكون بسرعةٍ أبداً، ولا تكتمل إلا على مدى الزمن ومن خلال الشروط الأخرى التي ذكرناها تصير الصداقة إلى قدر أكبر من التساوي والتشابه بين الصديقين".[1]

ويلتفت أرسطو إلى بعض الظروف المؤثرة في الصداقة ومنها تباعد الأمكنة، فيقرر أن البعد بين الصديقين لا يقطع الصداقة ولكن يوقف مظهرها إيقافا مؤقتا، غير أن الغيبة إن كانت طويلة جدا فيمكن أن تنهي الصداقة بفعل النسيان.

واستكمالا لشروط الصداقة يذكر أرسطو أن الصداقة الحقة تقتصر على شخص واحد، لأن الروابط المتعددة لا تكون بالعمق المطلوب، فمن الصعب أن يحظى الشخص بحب الكثيرين ويرتبط معهم بصداقة كاملة.

فالصداقة وفق تعبيره ضرب من الإفراط في نوعها، وهي ميل يتغلب على سائر الميول ولا يتجه بطبيعته إلا إلى شخص واحد. ويضيف أرسطو إلى تفسيره أنه من الصعب على الشخص أن يكون على وفاق في الخلق مع أناس كثيرين. ويبدو أن عدد الأصدقاء مرتبط بالأساس الذي تقوم عليه الصداقة، ففي ظل صداقات اللذة يمكن للشخص أن يجرّب علاقات مختلفة حتى يجد الصديق الذي يسرّه ويشاركه في لهوه. وفي ظل المنفعة أيضا من اليسير على الشخص أن يدخل في علاقات متعددة، وذلك لأن كثيرا من الأشخاص مستعدون لتلك العلاقات، إلا أنها ضئيلة الحظ من حيث الاستقرار والدوام.[2]

---

[1]/ أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص15.

[2]/ينظر: المرجع نفسه، ص16.

2.2-آراء المفكرين العرب في تعريف الصداقة وشرح خصائصها:

نقرر بداية أن موضوع الصداقة كان محل اهتمام عدد كبير من الأدباء والمفكرين العرب، وبينما نلمح في طيات بعض الكتب العربية المعتنية بهذا الموضوع تأثرا واضحا بفكر أرسطو يضيف البعض الآخر أفكارا أصيلة غير مسبوقة، ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتناول كل تلك الأعمال، وإنما سنشير إلى أبرزها ونوضح أهم الخصائص التي تنطوي عليها و نشير بإيجاز إلى بعض المؤلفات التي تكشف عناية المفكرين العرب بالصداقة، وذلك على النحو التالي:

1.2.2-الباب الذي كتبه ابن المقفع (106-142ه) بعنوان "في معاملة الصديق"، ضمن كتابه "الأدب الكبير".

والذي تندرج تحته مجموعة من المطالب ويركز فيه على آداب التعامل مع الصديق. ومن أقواله عن أهمية الصداقة والأصدقاء ما جاء في الكتاب السابق مطلب بعنوان "في الحرص على اتخاد الإخوان وتعهد المعروف": "اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء وعدة في الشدة، ومعونة في المعاش والمعاد، فلا تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم" .[1]

ويتجلى من خلال قوله هذا تشبيهه للصديق بالرزق، فحث على الحرص في طلب هذا الرزق الذي يبقى مع الإنسان في عسره ويسره.

وضمن نفس الباب أيضا نجد مطلبا بعنوان "في الحض على مؤاساة الصديق عند النوائب"، وورد فيه: "إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية وإما بالخذلان، فالتمس المخرج عند أشباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها، فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها فأجمِل".[2]

ونذكر من بين جملة الآداب التي دعا ابن المقفع إلى التحلي بها في معامل الأصدقاء ما يلي:[3]

---

[1]/عبد الله بن المقفع، تح محمد حسن نائل المرصفي، **الأدب الكبير**، مكتبة الجامعة الأمريكية، القاهرة،1331ه، ص65.

[2]/ المرجع نفسه، ص63.

[3]/ ينظر: أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص ص19 -20.

❖ إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبك ذلك، فإنما هو أحد رجلين: إن كان رجلا من إخوان الثقة، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك، لشر يكفه عنك، أو عورة يسترها منك، أو غائبة يطلع عليها لك، وإن كان رجلا من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى[1].

❖ إذا أقبل عليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك، فلا تنعم الإقبال عليه والتفتح له، فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه.

❖ اعلم أن انقباضك عن الناس يكسبك العداوة، وأن تفرشك، أي انبساطك لهم يكسبك صديق السوء.

❖ ليعرف إخوانك، والعامة إن استطعت، أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل، فإن فضل القول على الفعل عار وهجنة، وفضل الفعل على القول زينة.

❖ لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذرا، ولا تستعن إلا بمن يحب أن يظفر لك بحاجتك، وإذا اعتذر إليك معتذر فتلقه بوجه مشرق ولسان طلق، إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة.

هذه من بين آداب أخرى وفيرة لا يسمح لنا المجال بالإسهاب فيها.

وقد ختم ابن المقفع كتابه "**الأدب الكبير**" بهذه القطعة التي يَصِفُ فيها صاحبه قائلا:[2]

"وإِنِّي مُخْبِرُكَ عنْ صَاحِبٍ لي، كَانَ مِنْ أعْظَمِ النَّاسِ في عَيْني، وكَانَ رَأسُ مَا أَعْظَمَه في عَيْني صغَرَ الدُّنْيا في عَيْنِه؛ كَانَ خَارِجًا من سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فلا يَتَشهَّى مَا لا يَجِد، ولا يُكثِرْ إِذَا وَجَد .وكَانَ خَارجًا مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِه، فلا يَقُولُ مَا يَعْلَم، و يُنَازِعُ فيمَا يَعْلَم .وكَانَ خَارجًا من سُلْطَانِ الجَهَالةِ، فَ يُقْدِمُ أَبَدًا عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ.كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِه صَامتًا، فَإِذَا نَطَقَ بَذَّ[3] النَاطِقِين .كَانَ يُرَى مُتَضَاعِفًا مُسْتَضْعَفًا، فَإِذَا جَاءَ الجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ

[1]/ ينظر: عبد الله بن المقفع، **الأدب الكبير**، ص55.

[2]/ عبد الله بن المقفع ، **الأدب الكبير**، ص102.

[3]/ بذَّهم : غلبهم وفاقهم.

عَادِيًا[1] كانَ لا يَدْخُلُ في دَعْوَى، ولا يَشْتَرِكُ في مِرَاءٍ، ولا يُدْلِي بِحُجَّة حتَّى يَرَى قَاضِيًا عَدْ وشُهُودًا عدُولا، وكَانَ يَلُومُ أَحَدًا عَلَى ما قَدْ يَكُونُ العُذْرُ في مِثْلِهِ حتَّى يَعْلَمَ مَا اعْتِذَارُهُ. وكَانَ يَشْكُو وَجَعًا إلا إِلَى مَنْ يَرْجُو عنْدَهُ البُرْء .وكَانَ يَستَشِيرُ صَاحبًا إلا مَنْ يَرْجُو عِنْدَه النَّصيحَةَ .وكَانَ لا يَتَبَرَّمُ، و يَتَسَخَّطُ، ولا يَتَشَهَّى ولا يَتَشَكَّى .وكَانَ لا يَنْقِمُ علَى الوَلِيِّ[2]، ولا يَغْفَلُ عَنِ العَدُوِّ، و يَخُصُّ نَفْسَهُ دُوْنَ إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِن اهْتِمَامِه وحِيلتِهِ وَقُوَّتِه. فَعَلَيْكَ بِهذِه الأخلاق إِن أَطَقْتَ – ولَنْ تُطِيقَ – ولَكِنَّ أَخْذَ القَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الجَمِيعِ".

لقد ختم ابن المقفع كتاب "**الأدب الكبير**" بهذه القطعة التي يَصِفُ فيها صاحبه، ولعلَّها وصف عام لمن يراه المَثَلَ الأعلى في الخلق القويم، ولذلك يجعله "من أعظم الناس في عينه" ثم بدأ يعلّل لهذا بذكر صفاته، فمنها أنه غير مُتَكَالِب على الدنيا، بل يعلو عليها، لأنه عفيف النفس لا يبدو منه طمع أو جشع أو سوء خلق مما يجعله مُحْتَقَرًا في نظر الناس، ومنها أنه لا تُسَيْطر عليه الرغائب الجسدية، وعبّر عن ذلك تعبيرًا حسيًّا قويًّا بأن كنَّى عنها بالبطن، وأنه ذو سلطان، وفصَّل القول بأنه لا يشتهي ما لا يجد، وإذا وجد لا يكثر من المتاع. وتناول اللسان الذي قد يسيطر على صاحبه أحيانًا فيؤدِّي به إِلى التَّهْلُكَة، أما هو فيغلب هذا اللسان ويُلْجِمه ويَكْبَحُ جِمَاحه لا يقول ما لا يعلم، ولا يجادل فيما يعلمه، لأن فوق كلِّ ذي علمٍ عليمًا، فمهما عَلِمَ الإِنسان فلا يجوز له الظنُّ بأنه أحاط بكل شيء علمًا، بل التواضع هو التَّاج الذي يجب أن يتحلَّى به الإِنسان .

وصاحبه بعيدا عن الزجِّ بنفسه فيما لا يفيد. وهو لا يَظهر قويًا في كل الأحوال، بل في الوقت الذي يتحتَّم عليه النضال، وكان من حَصَافَتِهِ أنه لا يدخل في جدال إِلا إِذا وجد مَنْ يُنْصِفه على خصمه ومن يشهدون على تفوقه عليه، وإِلا فلا فائدة من الجدال، لأنك من المتجادلَينِ سوف يتمسك برأيه ويظن أنه المصيب، وكان لا يتعجَّل لومَ أحد من الناس حتى يتبيَّن له الأمر جليًّا، وكأنه يعمل بقول الشاعر:[3]

تأنّ و لا تعجل بلومٍ لصاحب * لعلّ له عذرا وأنت تَلومُ**

---

[1]/ عاديًا: واثبًا.

[2]/ الولي: الرفيق المحبّ.

[3]/ حمود بن عبد الله السلامة وإبراهيم بن حسن الدريعي، **الأدب العربي للصف الثاني ثانوي**، المملكة العربية السعودية، 2008م، ص

وإذا ما استمرت قراءتنا لهذا الوصف الرائع للصديق، تبيّنَّا تلك العقلية الحكيمة التي صاغت هذه الأوصاف، وهي عقلية ابن المقفع الذي ذكر معاصروه أنه كان آية في البلاغة.

2.2.2-الفصل الذي كتبه ابن مسكويه (ت 421هـ) في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق":

لقد أورد ابن مسكويه فصلا كاملا في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" بعنوان "**الصداقة**"، ويقول في فاتحة هذا الفصل: "الصداقة نوع من المحبة، إلا أنها أخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن أن تقع بين جماعة كبيرة كما تقع المحبة...فالصداقة بين الأحداث ومن كان في مثل طباعهم".[1]

يعد ابن مسكويه من أشد الكتاب تأثرا بآراء أرسطو في الصداقة، ومن الدلائل التي تفصح عن هذا التأثر رأيه الذي يذهب إلى أن الناس يسعون في حياتهم لنيل واحدة أو أكثر من بين ثلاث حاجات وهي: **اللذة والمنفعة والفضيلة**، ويصنف الصداقة تماشيا مع هذا التصور إلى ثلاثة ضروب، وهي صداقة اللذة أو المنفعة أو الفضيلة، وهو تصنيف سبقه أرسطو إلى إقراره، ويذكر ابن مسكويه من الخصائص المميزة لكل ضرب من ضروب الصداقة ما يلي:[2]

- إن صداقة اللذة تنعقد سريعا وتنحل سريعا، لأن اللذة متغيرة، وهي أكثر شيوعا بين الفتيان.
- إن صداقة المنفعة تنعقد بطيئا وتنحل سريعا بانقضاء المصلحة، وهي صداقة كبار السن.
- إن صداقة الفضيلة تنعقد سريعا وتنحل بطيئا لأن الخير باق بين الناس، وهي صداقة الأخيار.

ولعلّ من أطرف ما جاء في كتابات ابن مسكويه دعوته إلى تقليل عدد الأصدقاء وهو ينصحنا مرددا "ولتكتف بواحد إن وجد، فإن الكمال عزيز، وأيضا إن من كثر

---

[1]/أبو علي أحمد بن محمد- ابن مسكويه-، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر،1911، ص114.

[2]/ المرجع نفسه، ص ص115-116.

أصدقاؤه لم يف بحقوقهم، واضطر إلى الإغضاء عن بعض ما يجب عليه والتقصير في بعضه، وربما تراوحت عليه أحوال متضادة، أعني أن تدعوه مساندة صديق إلى أن يسره بسروره ومساندة آخر أن يغتم بغمه، وأن يسعى بسعي واحد ويقعد بقعود آخر، مع أحوال تشبه هذا كثيرة مختلفة.[1]

3.2.2-فصل المؤاخاة من كتاب "أدب الدنيا والدين" لأبي حسن الماوردي(364-450هـ):

وقد تحدث الماوردي في بداية فصل المؤاخاة بالمودة بعدما اعتبرها السبب الرابع من أسباب الألفة، "أنها تُكسب بصادق الميل إخلاصا ومصافاة...وهذا أعلى مراتب الألفة وعمدتها، لأن أصل الألفة الصفاء، ونتيجتها الوفاء، ولذلك آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، لتزيد أُلفتهم، ويقوى تضافرُهم وتناصرُهم".[2]

وقد أورد الماوردي في هذا الفصل أحاديث نبوية شريفة وأبيات شعرية وأقوال مأثورة مدعماً أفكاره بها ونورِد منها:

ما رُويّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:{عليّكُم بإخوَانِ الصِدْق، فإِنّهم زِينةٌ في الرَّخاءِ، وعِصمةٌ في البَلاءِ}.

وروى أبو الزبير، عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {المرءُ كثيرٌ بأخيه، ولا خيْرَ فِي صُحبةِ منْ لا يرَى لك منَ الحقِّ مثْل ما تَرَى لهُ}.

وقال عُمر بن الخطاب رضي الله عنهُ:{لقاءُ الإِخْوانُ جلاءُ الأحْزانِ}، وقال عليّ بن أبي طالب لابنِه الحسن عليهما السلام:{يا بُنيّ، الغريبُ من ليسَ لهُ حبيبُ}.

ومن الناس من قصر همّه في الدنيا على الظفر بصديق مساعدٍ، حتى قال شاعر:[3]

هُمومُ رجالٍ في أمور كثيرةٍ*وهمّي من الدنيا صديقٌ مساعدُ**

نكونُ كروحٍ بينَ جِسْميْنِ قُسِّما*فجسماهُما جسمان والروحُ واحدُ

ومن المسائل التي يطرحها الماوردي في فصل المؤاخاة:

---

[1]/ أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص21.

[2]/ أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص261.

[3]/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان أو الأصدقاء، وأقسام الإخوان، وأهمية الاعتدال سواء في درجة التعلق ومحبة الصديق أو عند معاتبته عندما يقع خلاف معه.

✓ **المسألة الأولى:**

يقرر فيها الماوردي أن مذهب العقلاء في عدد الأصدقاء هو قلة الإخوان، ويبرر ذلك بقوله:«إذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة، كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه، لأنه يروم مثله ويطلب شكله وأمثاله من ذوي العقل والفضل ... ولأن الخيار في كل جنس هو الأقل، فلذلك قل وفور العقل والفض».[1]

✓ **المسألة الثانية:**

وهي أقسام الإخوان، فيشير إلى أنهم ينقسمون إلى أربعة أقسام –وفقا لطلب العون أو تقديمه– فمنهم من يعين ويستعين ومن لا يعين ولا يستعين ومن يستعين ولا يعين ومن يعين ولا يستعين.

ثم يستطرد في تفرقة دقيقة بين كل قسم على النحو التالي:

" فأما **المعين والمستعين** فهو معاوض –أي محب للمعاوضة أو المبادلة– يؤدي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء ، وهو مشكور في معونته ومعذور في استعانته، فهذه أعدل أحوال الإخوان...

وأما من **لا يُعين ولا يستعين** فهو متروك، قد منع خيره وقمع شره، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لمنع خيره وإن كان باللوم أجدر، وقد قال المغيرة بن شعبة: "التارك للإخوان متروك"...غير أن فساد الوقت وتغير أهله يوجب شُكر من كان شرّهُ مقطوعا وإن كان خيرُهُ ممنوعا، وقال الشاعر:

وأسوأ أيام الفتى يومٌ لا يُرى*له أحد يُزري عليه ويُنكر**

وأما **من يستعين ولا يعين** فهو لئيم كل، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وليس له في الإخاء حظ ولا في الوداد نصيبٌ ...

---

[1]/ أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص263.

أما من **يعين ولا يستعين** فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الإسداء والاكتفاء فلا يرى ثقيلا في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفسا وأكرمهم طبع، فينبغي لمن أوجده الزمان مثله أن يُثني عليه خنصره ويعض عليه ناجذه، ويكون به أشد ضنا منه بنفائس أمواله وسنيِّ ذخائره"[1]، وقد قال الفرزدق:

يمضي أخوك فلا تلقى له خَلَفَا*والمالُ بعد ذهاب المال يُكتسبُ**

- وقال آخر:

لكلِّ شيءٍ عدمتهُ عِوض* وما لفقدِ الصدّيق من عوَضِ**

✓ **المسألة الثالثة:**

وهي الاعتدال في الحب والمعاتبة، فيقول: "ينبغي -على المرء- أن يتوقى الإفراط في محبته، فإن الإفراط داعٍ إلى التقصير، ولأن تكون الحال بينهما -أي بين الصديقين- نامية أولى من أن تكون متناهية ".[2] وقد روي عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما ".

ويرتب الماوردي على ذلك ضرورة الاعتدال في زيارة الصديق دون تقليل أو إكثار، فإن تقليل الزيارة داعية الهجران، وكثرتها سبب الملام، ويستشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " يا أبا هريرة زُر غبا تزدد حُبًّا "، أي اجعل زيارتك لصديقك وقتا بعد وقت ولا تلازمه كل يوم. وأورد بعض الأبيات للاستشهاد منها قول لبيد:[3]

توقّف عن زيارة كل يومٍ* إذا أكثرت ملّكَ من تزورُ**

- وقول شاعر آخر: [4]

عليك بإقلال الزيارة إنّها*إذا كثُرت كانت إلى الهجر مسلكا**

ألمْ ترَ أن الغيثَ يُسأم دائما*ويُسألُ بالأيدي إذا هو أمسكا**

---

[1]/ يُنظر: أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص 277-279.

[2]/ أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص285.

[3]/ أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص25.

[4]/ أورد البيتين: أبو حسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 286.

وبنظرته نفسها يدعو إلى التوسط في المعاتبة، ويرى أن كثرة العتاب سببٌ للقطيعة، وتركه جميعه دليل على قلة الاكتراث بأمر الصديق، وقد قيل :علة المعاداة قلة المبالاة، بل يتوسط حالتي تركه وعتابه، فيسامح بالمتاركة، ويستصلح بالمعاتبة، فان المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد، وقد قال بعض الحكماء: لا تكثر من معاتبة إخوانك فيهون عليهم سخطك.[1]

- قال بشار بن برد:[2]

إذا كُنت في كُل الأمور معاتباً*صديقَك لم تلقَ الذي لا تُعاتبه**

وإن لم تشربْ مِرارا على القذىظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه**

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه* مُقارف ذنبٍ مرة و مُجانبُه**

4.2.2-كتاب "بداية الهداية " لأبي حامد الغزالي(450-505ه):

تناول الغزالي الصحبة والصداقة في كثير من أعماله، ونتناول من بينها كتابه "بداية الهداية"، إذ أفرد الغزالي القسم الثالث من مؤلفه للحديث عن الصحبة وآدابها، فكان عنوان هذا القسم "**القول في آداب الصحبة والمعاشرة**"، وقال: "اعلم أن الناس ...ثلاثة أقسام: إما أصدقاء، وإما معارف، وإما مجاهيل"[3]؛ إذ قسم الغزالي الناس إلى ثلاثة أصناف: فهم إما أصدقاء، أو معاريف (أي معارف) أو مجاهيل، موضحا أن هناك آدابا خاصة يجب مراعاتها عند التعامل مع كل صنف من أصناف الناس، فقال: "وأما الإخوة والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان، أحدهما: أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة، فلا تؤاخِ إلا من يصلح للأخوة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرءُ على دين خليلِه، فلينظر أحدكم من يُخالل"[4]، فمع الأصدقاء يشير الغزالي إلى وجوب التحقق من استيفاء الصديق لشروط الصداقة وهي: العقل، وحسن الخلق، والصلاح، والكرم، والصدق.

---

[1]/ يُنظر: أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص287.

[2]/ بشار بن برد، الديوان، ص326.

[3]/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **بداية الهداية**، دار المنهاج، لبنان، بيروت، ط1، 2004، ص242.

[4]/ المرجع نفسه، ص242.

وقد ورد هذا في قوله: "فإذا طلبت رفيقا ليكون شريكك في التعلم، وصاحبك في أمر دينك ودنياك...فراعِ فيه خمس خِصالٍ:[1]

✓ **الأولى- العقل:**

فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها، وقد يضرك وهو يُريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق، وقال الإمام علي رضي الله عنه:[2]

ولا تصْحَب أخا الجهلِ* وإيّاك و إيــّاهُ**

فكَم مِنْ جاهِلٍ أردَى** حلِيماً حِين واخَاهُ**

✓ **الثانية- حسنُ الخُلُق:**

فلا تصحب من ساء خُلُقه، وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة... وقد قال عليّ رضي الله عنه رجزاً:

إنَّ أَخاك الحق من كان معك * ومن يَضُرُّ نفسه لينفعك**

ومن إذا ريْبُ الزّمانِ صدّعَك * شتَّت فيه شملهُ ليَجْمَعَكْ**

✓ **الثالثة- الصلاح:**

فلا تصحب فاسقا مصراً على معصية كبيرة، فمن لا يخاف الله لا تُؤمن غائلته، بل يتغير بتغير الأغراض، قال الله عز وجل لنبيّه صلى الله عليه وسلم: {وَلَا تُطِع منْ أَغْفَلنا قلبَهُ عنْ ذكْرِنا واتَّبع هواهُ وكانَ أَمرهُ فُرُطا}.[3] فاحذر صحبة الفاسق، فإن مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك وقع المعصية، وتهوّن عليك أمرها..."[4]

✓ **الرابعة- الحرص:**

وقد دعا الغزالي في هذه الخصلة الرابعة إلى تجنب مصاحبة الحريص على الدنيا، مشبها مصاحبة الحريص بالسم القاتل فالطباع مجبولة على التشبه والاقتداء وقد علل ذلك

---

[1]/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **بداية الهداية**، ص242.

[2]/ أورد البيتين أبو حامد الغزالي في بداية الهداية، ص244.

[3]/ سورة الكهف، الآية 28.

[4]/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **بداية الهداية**، ص246.

بكون مجالسة الحريص تزيد في الحرص على الدنيا وملذاتها، ومجالسة الزاهد في الدنيا تزيد في الزهد.[1]

✓ **الخامسة- الصدق:**

ويقول الغزالي في هذه الخصلة: "فلا تصحب كذاباً، فإنك منه على غُرور، وهو مثل السراب يُقرب منك البعيد ويبعِد منك القريب؛ فعليك بأحد أمرين: إمّا العُزلة والانفراد؛ ففيها سلامتك، وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر صالح خصالهم...فالناس ثلاثة أحدهم مثل الغذاء لا يُستغنى عنه، والآخر مثل الدواء يُحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يُحتاج إليه قط".[2]

ويذكر الغزالي من حقوق الصحبة الواجبة مع الأصدقاء: الإيثار بالمال والمبادرة بالإعانة، وكتمان السر، وستر العيوب والسكوت عن تبليغه مذمة الناس، وإبلاغه ما يسر من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث، ودعوته بأحب أسمائه إليه، والثناء عليه بما يعرف من محاسنه، وشكره على صنيعه في وجهه، والدفاع عنه في غيبته، ونصحه باللطف، والعفو عن زلته، وإحسان الوفاء مع أهله، والتخفيف عنه في المكاره، وإظهار السرور لرؤيته، والسلام عليه عند لقائه.

أما عن آداب التعامل مع المعارف (وهم من تربطنا بهم علاقة سابقة لا تصل إلى درجة الصداقة) فيذكر الغزالي: التأدب، التواضع والتحمل، وعدم الاطمئنان إليهم حتى وإن أظهروا المودة، مع التماس الأعذار لهم، والهدوء في المجلس، وحسن الحديث، وعدم الإلحاح في الحاجات، والاعتدال في الملبس وفي التزين، وعدم الإكثار من الالتفات والإشارة باليد أو التثاؤب.

أما آداب التعامل مع المجاهيل (وهم الأشخاص الذين تجمعنا الظروف بهم دون معرفة سابقة) فتشمل :قلة الإصغاء إلى أحاديثهم، والتغاضي عن سوء ألفاظهم، وتجنب كثرة لقائهم والحاجة إليهم، مع التنبيه على ألفاظهم البذيئة باللطف والنصح عند توقع القبول منهم.[3] وكُن كما قيل :

---

[1]/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **بداية الهداية**، ص247.

[2]/ المرجع نفسه، ص248.

[3]/ يُنظر: أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص21.

احذَر عدُوّك مرّة * واحذر صديقك ألْف مرة**
فلرُبّما انقلب الصديــ قُ فكان أعْرف بالمضرّة**

5.2.2-كتاب أبي نجيب ضياء الدين السهروردي (490-563ه) "آداب المريدين":

فقد أورد السهرورودي في كتابه هذا فصلا بعنوان: "**في ذكر آدابهم في صحبة بعضهم بعضا**" وقد ضمّن فيه بيتين شعريين مفادهما:

وحدةُ الإنسان خيْرٌ من * جليس السوءِ عنده**
وجلِيس الخيْرِ خَيْرٌ من * جُلوسِ المرْءِ وحدَه**

عني السهروردي ببيان شروط الصداقة وآدابها، وأوضح أن من ببين شروط الصحبة الموافقة في الاعتقاد، وحثّ على التأني في اختيار وتجنب أصدقاء السوء إذ إن المرء على دين خليله، وفي الدين مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: {**المرْءُ على دين خَلِيلِه، فلينظر أحدِكُم من يُخَالِل**}، وذكر السهروردي من آداب الصحبة بين الناس حفظ الحرمات، وحسن العشرة والنصيحة وملازمة الإيثار والمعاونة في الدنيا والدين، والصبر على الإيذاء عملا بحديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم -{المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المُؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، وفي الكل خير}[1].

ويوضح السهروردي أن آداب الصحبة تعتمد على قدر الصاحب، فالصحبة مع المشايخ والكبراء تقوم على الاحترام والخدمة والتوقير، والصحبة مع الأقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والإحسان، ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب والنصح بما ينفع، والصحبة مع الأستاذ باتباع الأوامر والنواهي وخدمته واحترامه، والصحبة مع الخدم بالتلطف والدعاء، ومع الغرباء بالبشر وطلاقة الوجه والصبر عليهم وخدمتهم، ومع السلطات بالسمع والطاعة إلا في معصية.[2]

---

[1]/ ينظر: أبو النجيب عبد القاهر السهرورَدي، **آداب المُريدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،2013م، ص34.

[2]/ أسامة أبو سريع، **الصداقة من منظور علم النفس**، ص22.

وعليه: تكشف النظرة السريعة التي ألقيناها أن تراثنا غني بالأفكار والتأملات التي تحيط بمختلف أبعاد الصداقة، والتي تكشف عن بصيرة نافذة وخبرة متعمقة.

3-الصداقة والصديق في الشعر العباسي.

إن لظاهرة الصداقة صدى قوياً في الشعر العربي القديم كونها تُمثل مفردة من مُفردات الحياة اليومية، عالجها الشعر بمظاهرها المُختلفة لخصوصيتها الإنسانية أولاً ولأنه كان سجلا صادقاً للقيّم الأخلاقية المختلفة في المجتمع العربي ثانيا، وفيما يلي مقطوعات وأبيات شعرية تبيّن عناية عديد الشعراء العباسيين بالصداقة ومختلف قيّمها ، وحرسوا على تضمينها في أشعارهم.

1.3-من شعر الاعتزاز بالأصدقاء والداعي إلى اتخاذهم، بل والإكثار منهم

إن فكرة الصداقة في الشعر لها حضورها القوى في الأدب القديم فها هو **المتنبي** يمجد الصداقة، ويرى المتنبي أن أسوأ البلاد تلك التي لا يستطيع فيها المرء أن يعثر على صديق:

شر البلاد بلاد لا صديق بها*وشر ما يكسب الإنسان ما يصم**[1]

يعتز **محمد بن حازم الباهلي** بوجود الصديق الحقّ الذي يجد فيه ضالته والذي يتشارك معه بمشاعر صادقة قوامها المحبةُ والإخاء[2]، يقول:

ولي صاحبٌ أصفيه ودّي وأنه**لينصِفُني في ودّهِ ويزيد**

أمنتُ صُروف الدّهر بيني وبينهُإذا دبّ بين الصاحبين حسودُ**

وهذا **أبو العتاهية** يرى أن قرة عينه في دُنياهُ هي صديق يتفق معه، إذ يقول:

لَعَمْرُكَ ما شيءٌ مِنَ العَيشِ كلّهِ*أقرُّ لعيني من صديقٍ موافق**[3]

أما **ابن الرومي** فيخال الصديق نعمةً فيحمدُ عليها ربّه، إذ يقول:

أحمدُ الله على ما وردت من الأخ* وإن غيّر المكدِّر المطروق**

---

[1]/ أبو الطيب المتنبي، **الديوان**، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983، ص333.

[2]/ أكرم علي عنبر، "**قيّم الصداقة في شعر محمد بن حازم الباهلي**"، مجلة **وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية**، الدوريات المصرية، المقال السادس، 2019، ص310.

[3]/ بن القاسم بن زويد أبو العتاهية، **الديوان**، دار بيروت للطباعة والنشر، 1986، ص288.

ثُم إن الصداقة وإن قامت على أساس الفضيلة، تستدعي بطبيعتها جلب المنفعة أو دفع الضرر، فأنها تبعثُ الصديق على أن يدفع عن صديقه الأذى، ولمثل هذا أوصى بعض الحكماء باتخاذ الأصدقاء، فقال: "أعجز الناسِ من فرط في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم"، وقال الشاعر الحكيم :[1]

لعمرُك ما مالُ الفتى بذخيرةٍ*ولكن إخوانُ الثقات الذخائرُ**

2.3-الدعوة إلى الإكثار من الأصدقاء

وقد قال **الإمام الشافعي** يدعو إلى الإكثار من الإخوان، فهم عدة الشخص يوم ضيقه،[2] فيقول:

وأكثر من الإخوان ما استطعت إنهم* بُطونُ إذا استنجدتهم وظُهُور**

ولـــيس كثيرٌ ألف خل لعاقلٍ * وإن عدواً واحداً لكثـــير[3]**

فمتى ما حظي الإنسان بأصدقاء كثيرين، فقد ساقت له الأقدار خيراً كثيراً، ففي الصداقة ابتهاج للقلب عند لقاء الصديق، وفيها لذة روحية في حال غيبة الصديق، وقال أحد الأدباء: **ولن ينفعك تحسُدٌ أو تعادي***فأكثر ما استطعت من الصديق**

3.3-التأكيد على حسن اختيار الصديق

يؤكد الشاعر **محمد بن حازم الباهلي** على أهمية اختيار الصديق،[4] كونه انعكاسا للنوازع النفسية والعقلية التي تنطوي عليها النفس، ويُشير من خلال ذلك إلى ضرورة اختيار الصديق الصدوق ويدعو إلى الدقة في اختياره والانتباه لما لهذه العلاقة الإنسانية من تأثير كبير على حياة الفرد والمجتمع، ويقول في ذلك: [5]

إن كُنت متخذا خليلا*فَتنقَ واتـــــخذ الخليلا**

من لم يكنْ لك مُنصفاً*في الودِ فابغَ له بديلا**

---

[1]/ السيد عبد الحليم محمد حسين، "**الصداقة**"، ضمن الموقع الإلكتروني لشبكة الألوكة، 2018، ص4.

[2]/ أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص291.

[3]/ محمد بن إدريس الشافعي، **الديوان**، جمع وضبط يوسف علي بدوي، مكتبة دار الفجر، سوريا، ط1، 2000، ص67.

[4]/ يُنظر: أكرم علي عنبر، "**قيّم الصداقة في شعر محمد بن حازم الباهلي**"، ص305.

[5]/ محمد بن حزم الباهلي، **الديوان**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1982، ص80.

كم من عزيز قد رأيتُ الحرص صيّرهُ ذليلا**

لقد بنى الشاعر نصه على خاصية الاختيار فجعلها محوراً أساسيا موجهاً خطابه بصفة الناصح الحكيم وبصيغة أمرية صريحة متوسلا بالأفعال: تنق، اتخذ، ابغ.

ويبدو أكثر من مرة مرا من أهل زمانه مما يستلزم الدقة في اختيار الصديق الذي يعتمد عليه والذي يؤمن حقا بقيّم الإخاء والمروءة:[1]

إخوان هذا الزمان كلهم*إخوان غـــــدر عليه قد جُبلوا**

أخوهم المستحقُ وصلهم*من شربوا عندهم ومن أكلوا**

طووا ثياب الوِصال بينهم*وصار ثوب الريـــــاء يُبتذل**

فاحفظ من الناس إن ظفرت بهمن لم يكنْ في إخائه دغلُ**

من أسباب التهاجر بين الصديقين حسب محمد بن حازم الباهلي، عدم التكافؤ والتشابه بينهما، إذ يؤكد أنّه لا يُصادق سوى من كان له نظيرا في العقل والأخلاق وما سوى ذلك فما له سوى الهجران، يقول: [2]

وقائل كيف تهاجرتُما*فقُلتُ قولا فيه إنصاف**

لم يكُ من شكلي ففارقتهوالناس أشكالٌ وألافُ**

وكذا **أبو الفتح البستي** يحث على اختيار الصديق من ذوي الأحساب والأصول الكريمة، فيقول:

إذا اصطفيت امرأً فليكن*شريف النِّجار زكى الحَسَب**

فنذل الرجالِ كنذلِ النَّباتِ*فلاَ للثمارِ ولا للحطب**

و**المتنبي** ينفذ عند اختيار الصديق إلى جوهر شخصيته وطباعه وأخلاقه حتى في الحب أليس وهو القائل بأن حب العاقلين يقوم على التصافي.

كما ويقرّ **المتنبي بالنظر** عند اختيار الصديق إلى الباطن "**أصاحب نفسَ المرءِ من قبل جسمِهِ**".

---

[1]/ محمد بن حزم الباهلي، **الديوان**، ص 84.

[2]/ المرجع نفسه، ص75.

هذه النماذج الشعرية تؤكد أهمية الصداقة في حياة الإنسان لأنها تعين عند الشدة وتؤنس عند الفرج، ولأن لكل سلوك شروطاً وحدوداً فقد بين الشعر كيفية اختيار الصديق حتى لا يصاب المرء بالخيانة والغدر، إن التركيز على الأخلاق والانتساب إلى الأصول العريقة في الخير والأصالة تعد من ملامح الشعر العربي الداعي لاتخاذ الصديق.

4.3-الاحتراس من الصديق

وابن الرومي[1] الذي يرى أن الصداقة ينبغي أن تؤخذ بحذر وعلى المرء ألا يستكثر من الأصحاب، **إنه** أقرب إلى التشاؤم حين يرى في الصداقة عداوة محتملة، إنه يدعو إلى الحكمة والتبصر والحذر، وتلك رؤيا مجرّبٍ عرف، فيقول:[2]

عدوك من صديقِك مستفادُ*فلا تستكثرنَّ من الصحاب**
فإن الـــــداء أكثر ما تراه*يكون من الطعام أو الشراب**
إذا انقلب الصديقُ غَدا عدوًا*مبينا والأمورُ إلى انقلابِ**
ولو كان الكثيرُ يطيبُ كانتمصاحبةُ الكثير من الصواب**
ولكن قــلَّما استكثرت إلا*سقطت على ذئـــــاب في ثياب**
فـــــدعْ عنك الكثير فكم كثيرٍ*يُعاف وكم قليلٍ مُستطاب**

وقريب من رؤية ابن الرومي**قول** أعرابي حيث يقول:

وكنت إذا علقت حيال قوم* صحِبتُهم وشِيمتي الوفاءُ**
فأُحسن حين يُحسن محسنوهموأجتنبُ الإساءَة إن أساءوا**

هذه النماذج الشعرية تؤكد أهمية بل وضرورة الاحتراس والتفطن من الصديق خوفا أن ينقلب الصديق إلى عدوٍ فيكون أدرى بوجه الضرر.

5.3-مظاهر عتاب الصديق في الشعر العباسي

تعددت طرائق الشعراء العباسيين في عتاب الأصدقاء، فمنهم من سلك سبيل الرقة واللين والهدوء وضبط النفس والاتزان، ومنهم من مال إلى الغلظة والخشونة والتعنيف،

1/ يُنظر: أبو الحسن علي الماوردي، **أدب الدين والدنيا**، ص285.

2/ محمد بن حزم الباهلي، **الديوان**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1982، ص80.

ومنهم من جمع بين الأسلوبين ومن ثمّ نراه هادئا تارة وثائرا تارة أخرى، يلين مرة ويقسو مرة ثانية.[1]

ومن العتاب الرقيق الذي يرمي صاحبه من ورائه إلى استعادة الود والصفاء والألفة،[2] ومن ثم فلا يقسو الشاعر في عتابه على صديقه، وقد قال **البحتري** في عتاب أحد أصدقائه كان قد تغيّر عليه وامتنع عن لقائه بعد أن منّ الله عليه وحَبَاه منزلة عالية وسلطانا وجاهاً كبيراً:[3]

يا فضلُ فيمَ الصُدودُ و الغضب*أم فيمَ حبلُ الصفاءِ منقضبُ؟
أم فيم هُجران بكم ** تقصونه دائــما ويقتــرب
هذا لذنب، فلن أعود له*ما أعقبت ريحُ شمال نُكُب**
يا فضلُ أشمتَّ بي العُداة، وقد*أعطيتهم في فوق ما طلبُوا**
صدُّك عنّي وجفوةٌ حدثت*من صاحبِ غالٍ ودّهُ العطَبُ**
كان صديقاً، فصار معرفةً * بعد، ،،،،كذاك القلوب تنقلبُ**
إنّي لباكٍ عليكَ ما طرقت*عينٌ، وما فاض دمعها السربُ**
أنــدب حيّاً ماتت مودته*طوراً، وطوراً عليه أنتحب**
يا صاحبا لم أخف تغيُرهُ* ما هكــذا فعل من له أدبُ**

نلاحظ من خلال الأبيات رقة أسلوب البحتري وانتقاء الألفاظ بعناية، والاستفهامات المتتابعة دلالة على مدى صعوبة ما أصاب الشاعر نتيجة صدود صديقه عنه، وعن مدى حب البحتري لهذا الصديق وأمله في عودة الصفاء بينهما من جديد.

ومن ذلك قول **الشريف الرضي** يعاتب صديقا له: [4]

يا أبا الفضل والأمور فُنونتبعث الهمّ والخطوب صروف**

---

[1]/ علاء فؤاد عبد الفتاح، "**عتاب الأصدقاء في عُيون الشعراء في العصر العباسي**"، حولية **كلية اللغة العربية**، جامعة الأزهر، مج 13، ع 5، ديسمبر 2009، ص3395.

[2]/ المرجع نفسه، ص3398.

[3]/ البحتري، **الديوان**، شرح حسن كمال الصيرفي، دار المعارف مصر، مج 1، ط3، ص132 وما بعدها.

[4]/ الشريف الرضي، **الديوان**، شرح وتحقيق محمود مصطفى حلاوي، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، ج2، ص23.

وحفاظي كما علمت ولكن*أنكر الغدرَ وذي المعروف**

ومَرادي يقل في جنب نع*ماك، فأين التكرُم المألوف**

إن تكرمت فالخليل كريم*أو تمنعت فالملول عنيف**

أو يكن أنكر الإخاء قديما*منك قلبٌ فإن قلبي عروف**

أحمد الله إنني ما تقصيت*وأن الذي طلبت طفيف**

فاجعل ما سألتك برا* * *إنما البــرّ منــزل مألــوف

واحتمل سطوة العتاب فخير*النبع ما قد متَنَه التثقيف**

وعتابي هزا لعطفك والأغصــ*ان ما لم تهزّهن وقوف**

ويبدو أن الشاعر كان قد سأل هذا الصديق قضاء طلب له، فأهمله فأرسل إليه هذا العتاب الرقيق، ويؤكد له أن مودته ثابتة في قلبه يحافظ عليها ويُراعيها، وإن نسيّها ذلك الصديق.

ومن ذلك أيضا قول **أبي فراس الحمداني** يُعاتب سيف الدولة الحمداني هذا العتاب الذي يفيض رقة وعذوبة:[1]

يا سيدا ما تعد مكرمة*ألا وفي راحتيه أكملها**

أنت سماء ونحن أنجمها*أنت بلاد ونحن أجبلها**

بأيّ عذر رددت والهة*عليك دون الورى معولها**

إن كُنت لم تبدل الفداء لهافلم أزل في رضاك أبدلها**

تلك المودات كيف تهملهاتلك المواعيد كيف تُغفلها**

أين المعالي التي عُرِفتَ بها*تقولها دائــما وتفعلها**

لم يبقَ في الناس أمةٌ عرفت*ألا وفضل الأمير يشملها**

فأنت ترى أن أبا فراس يذكر المُعاتب بصلة القُربى والرابطة القوية بينه وبين أبناء عُمومته، وهم سنده وعونه ولا غنى لأحدهما على الآخر فهو السماء وهم النجوم ...

[1]/ أبو فراس الحمداني، **الديوان**، دار صادر، بيروت، ط2، 1996، ص241 وما بعدها.

وعلى الرغم من أن سيف الدولة ترك الشاعر في الأسر، إلا أنه مازال يُعلق عليه الآمال الكبار، ولا يزال على سابق ولائه له.[1]

على أن **المتنبي** قد ذهب إلى ترك عتاب الجُهال ومن لا يُجدي فيه الكلام شيئاً، وذكر المتنبي أن في عتاب هؤلاء عظيم البلاء، حيث قال:[2]

ومِن البلِيّةِ عذل من لا يرعوى*عن جهلة وخطاب من لا يفهمِ**

6.3-عتاب الأصدقاء شفاء للصداقة.

والعتاب في نظر **الشريف الرضي** شفاء للغل وتضميد للجراح، حيث يقول:[3]

أقول لهمتي لمّا أبَتْ لي*معاتبة الملول على الوِصال**

أُعاتِبُهُ لعلَ العَتَبَ يُشفي*وإن كان الزعيم بكسفِ بالي**

ولو لم يبلغ العتب بالقول*لعاتَــبْناه بالبيض الصِقالِ**

بل إن شاعراً مثل **أبي فراس الحمداني** يجد في هفوات الصديق فرصة لاختبار هذه العلاقة وتوثيقها من خلال العفو والتسامح والتعاطف حيث يقول:

ما كنتُ مذ كنتُ إلا طوع خلانيليست مؤاخذةُ الإخوان من شاني**

يجني الخليل فأستحلي جنايته*حتى أدل على عفوي وإحساني**

إذا خليلي لم تكثر إساءته**فأين موضع إحساني وغفراني**

يجني عليَّ وأحنو صافحاً أبداًلا شيء أحسن من حان على جانِ**

والصورة التي يرسمها أبو فراس لنفسه في معاملته لصديقه هي تعبير عن النبل4 والسماحة والخلق الكريم فهو موافق لخلانه فيما يرونه، إنه حاضر أينما طلبوه وجدوه،، فهو عند الشدة والرخاء وهو عند الخوف والرجاء بل إن طباعه لا تتقبل عتاب ولوم الأصدقاء وينادى في نبله حين يرى في جناية صديقه شيئا حلوا لأنه يعرف أن هذه الجناية ستكون فرصة لإظهار صدق مودته وقوة ولائه وحسن وفائه ويرخى حبل الود

---

[1] / علاء فؤاد عبد الفتاح، **عتاب الأصدقاء في عُيون الشعراء في العصر العباسي**، ص3402.

[2]/ أبو الطيب المتنبي، **الديوان**، ص275.

[3]/ الشريف الرضي، **الديوان**، ص234.

[4]/ أبو فراس الحمداني، **الديوان**، ص300.

حتى يتدلل الصديق على عفوه وإحسانه وهو يتساءل أين يكون موضع إحساني لو لم يكن هناك ذنب لأغفره، وكأنه يريد أن يقول إن النقائص تظهر الفضائل.[1]

والشاعر يقود هذه الصداقة في دروب الحياة فالذي يحاسب صديقه على كل هفوة لن يجد له صديقاً كما **يقول بشار بن برد:**

إذا كنت في كل الأمور معاتباً*صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه**

وقال آخر:

ولست بمستبق أخا لا تلمه*على شعث أي الرجال المهذب**

7.3-جحود ونكران الأصدقاء وإفشائهم الأسرار:

تألم الشريف المرتضى لأن وفاءه لأصدقائه لا يُقابل إلا بكل جحود أن نكران، فبينما هو يصِلُهم بعطائه ويُقدم لهم كُل خيرٍ ويدافع عنهم في كل وادٍ ونادٍ، إذا بهم يتمنون له كُل شرٍ ويرمونه بالأهوال الجسام، فيقول:

وقد صحِبتُ الذي بالغَيّ يأمرنيوبالذي يُدنس الأعراض يُغريني**

إني لأعجب منهُ وهو ذو عجبٍ*يبيعني قبل أن يلقى ويشريني**

يقيه نحري من رام فريسته*يوم الوغى هو عُمر الدهر يرميني**

وكلّما أخرجت كفي القــذاة له*من جفنةٍ بات يشجيني ويُقديني**

وكم ألبــيه في ضراء يركبها*ولم يكُن في سراء يُلبّيني**

إن تلك المفارقة بين أخلاق الشاعر وطباع أصدقائه دفعته لأن يتمنى أن يعيش منفردا بعيدا عن الناس وويلاتهم بل ويدعو إلى العُزلة والانفراد حيث يقول:

عِشْ مُفردا غير مقرونٍ فلا جذل*إلا بأني فردٌ عن مقرونِ**

ومنه قول **ابن عطاء الله** وكان قد بلغه أن صاحبا له أفشى حديثا أسر به إليه، ولم يُطلع عليه غيره، وجعل يُشَنّعه على جهة الإشفاق والنصح:[2]

على كُلِ ما قد كان في الودِّ بيننا*عفاء مدى الأيامِ غادٍ ورائح**

---

[1]/ علاء فؤاد عبد الفتاح، **عتاب الأصدقاء في عُيون الشعراء في العصر العباسي**، ص3404.

[2]/ ابن سعيد علي بن موسى الأندلسي، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تح: إبراهيم الأنباري، دار المعارف، مصر، د.ت، ص68.

تشنع مـــا لولاك لم يَبْدُ للعـــــدى*وتزعم من جهل بأنك ناصِحُ**
أفِقْ أيها المغرور لست بلائق بمثلي، وقد شانتك تلك الفضائحُ**

8.3-الإغماض عن عثرات الأصدقاء و الصفح والغفران لهم

وما أجمل وأروع ما قاله الشاعر **محمود الوراق** في تعليل صفحه عن المُسيء مهما تجاوز في الحدِّ:[1]

سألزم نفسي الصفح عن كلّ مذنبوأن عظُمت منه عليّ الجرائم**
فما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة*شريفٌ و مشروف ومثل مُقــاوم**
فأما الذي فوقي فأعرف قدره**وأتبع فيه الحقَ والحــقُ لازم**
وأما الذي دوني فأن قال ضُنتُ عن*إجابة نفسي وإن لام لائمُ**
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا*تفضلت، إنّ الحُر بالفضلِ حاكمُ**

فالمُسيء في نظر محمود الوراق أحد ثلاثة: إما رجلٌ أعلى منه قدرا، وإما دونه، وإما أقل منه؛ فإن كانت الأولى فمن الواجب أن يعفو عنه وينسى إساءته، وإن كان دونه صان نفسه عن مقابلة السيئة بمثلها، أما إن كان مثله أو نظيره فإنه يتفضل عليه بالصفح والعفو، وتلك شيمة كُل حُرٍ.[2]

وهكذا نجد أن الشعر قد حفل من خلال مفهوم الصداقة بكثير من الفهم والخبرة للطبيعة البشرية في الخير والشر على السواء.

---

[1]/ شهاب الدين محمد الأبشيهي، **المستطرف من كل فن مستظرف**، الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص176.

[2]/ علاء فؤاد عبد الفتاح، **عتاب الأصدقاء في عُيون الشعراء في العصر العباسي**، ص3427.

الفصل الثاني:

خصائص الرسالة ومضمونها

وموضوعاتها

تمهيد:

تقدمت الكتابة الفنية في العصر العباسي تقدما محسوسا، وسارت شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتساع، وأصبحنا نرى أثر هذه الحياة الجديدة التي آل إليه العرب بعد انبساط رقعة البلاد الإسلامية، واستقرار الملك في أيدي بني العباس، وامتزاج العرب بأهل البلاد المفتوحة، وأصبحنا نرى أثر هذه الحياة واضحا في أساليب الكتاب وأفكارهم وموضوعاتهم وأغراضهم.[1]

وقد اتفق أكثر الباحثين أن القرن الرابع الهجري هو العصر الذي وصلت فيه العلوم والفنون والآداب إلى أعلى درجة وإذا كان العصر العباسي الأول هو العصر الذهبي للدولة العربية الإسلامية، وفيه نقلت العلوم القديمة إلى العربية، وفي العصر العباسي الثالث نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها، في هذا الجو نشأ أبو حيان التوحيدي وفتح عينيه على عصر من أخصب العصور معرفة، ساعدته على ترك إنتاج خصب في أكثر نواحي المعرفة.

وكما ذكرنا آنفا يُعد القرن الرابع الهجري عصر ازدهار الثقافة والآداب والفنون، بل كان ربيعها وشبابها الناضر وفيه بلغت الفلسفة شأوا عظيما، وفيه برز واحد من عمداء الثقافة العربية هو أبو حيان التوحيدي، ويعتبر أبو عثمان الجاحظ عميد الأدب العربي في القرن الثاني أول من تتلمذ التوحيدي عليه من خلال قراءته لمؤلفاته حتى أن بعض النقاد قال عنه إنه الجاحظ الثاني لأنه كان شاهد عصره، أي مسجل القرن الرابع الهجري كما كان الحال بالنسبة للجاحظ في القرن الثاني، على أن دور التوحيدي لم يكن مجرد نقل آداب وفلسفة القرن الرابع، بل كان البوتقة التي انصهرت فيه تلك العلوم والآداب والفنون والقضايا الفلسفية فهو كأمة النحل التي تجود علينا برحيق سائغ شرابه، فيه شفاء للناس أجمعين.[2]

لقد كانت كتابات التوحيدي تثير اهتمام الدارسين من جوانب عديدة تثير التساؤل والجدل، إذ أنّ فيها أدب فلسفي وفلسفة أدبية تشبه إلى حدّ كبير كتابات الجاحظ أدبا

---

[1]/ عبد الحكيم بلبع، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، مكتبة الأنجلو المصرية، دار العلوم، القاهرة، دت، ص143.

[2]/ يُنظر: أحمد عبد الهادي، **أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص24.

وفلسفة، غير أن للتوحيدي خصوصية تخرج عن المسار الجاحظي، كما أنّ للتوحيدي قدرة في المزج بين الإمتاع والإقناع في كتاباته الإبداعية، وهذا التفرد في الأسلوب ظهر وسط زحمة من الإبداعات حيث كانت الغاية عند كل كاتب أو أديب أن يجتهد في أسلوبه وطريقته حتى ينال الحظوة والمراتب العليا في الدولة آنذاك.[1]

وقد ارتأيت أنه علينا التعرف على مميزات العصر الذي عاش فيه التوحيدي، ثم خصائص النثر الفني في هذا العصر وكتابات هذا العصر أولا، ثم استكشاف قيم الصداقة عند التوحيدي حسب ما أورده في مؤلفه" **الصداقة والصديق** ".

[1]/ سعاد جوهري، **بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017، ص53.

المبحث الأول: عصر أبي حيان التوحيدي ومميزات النثر الفني فيه

1-الإطار الحضاري لعصر التوحيدي

إن الكشف عن الإطار الحضاري الذي عاش في كنفه أبو حيان التوحيدي يُعيننا كثيرا على فهمه طريقته في التفكير ومنهجه في التأليف، وقد عاش التوحيدي في القرن الرابع الهجري، وهو قرن التناقضات ويُطلق هذا الوصف عليه لأنه القرن الذي بدا فيه التدهور السياسي للخلافة العباسية، وفي هذا العصر تفككت الخلافة العباسية إلى مجموعة أمصار ودويلات، وتغلغل الأعاجم في جسم الدولة، فالتوحيدي عاش في بيئة سياسية حافلة بالفوضى وذيوع الفتنة الاضطراب، وتفشي الإرهاب السياسي والاضطهاد المذهبي، حيث انقسمت الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث الهجري إلى دويلات صغيرة، وكذلك سادت فيه ألوان من السقوط الأخلاقي كأثر من آثار فساد الحكم على المجتمع. ولكنه في الوقت نفسه كان قرن الازدهار الفكري والثقافي وبين الاثنين صلةٌ حاول المؤرخون والباحثون تفسيرها وأرجعوا ذلك لأسباب عديدة. [1]

يقول عبد الرحمن بدوي عن تأثر أبي حيان بعصره: "**هناك انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بمقذع الهجاء، شاكيا نائحا حينا، متمردا عنيدا يجدّ ف بكل شيء حينا آخر، كذلك فُرضت عليه الوحدة في الحياة فظل عمره لا يجد حوله ولداً نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ورئيسا منيبا، ومن هنا شعر بالوحشة الهائلة في دنياه فانطلق يصفها بكل حرارة ومرارة في معظم صفحات كتبه**".[2]

فرغم ازدهار الثقافة العربية بتفتحها على الثقافات الأخرى، خاصة اليونانية والفارسية، وصبغها آثار هذه الثقافات المنقولة بالروح العربية، رغم ازدهار الأدب، والنثر بصفة خاصة، وظهور فن المقامة، وتطور فن الرسائل إلا أن العصر كان مضطربا سياسيا واجتماعيا؛ إذ شمل الضعف دولة الخلافة العباسية، وتناثرت أطرافها، ودب الفساد إليها، واتسعت الهوّة بين أثرياء لا يعرفون كيف ينفقون ما لديهم، وفقراء

---

[1]/ يُنظر: وسيم إبراهيم، **نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي**، دمشق، 1994، ط1، ص05.

[2]/ أبو حيان التوحيدي، **الإشارات الإلهية**، ج1، تح: عبد الرحمان بدوي، القاهرة، 1950، المقدمة ص: ي.

أغلبية يأكل بعضهم بعضا في أيام المجاعات، حتى إن بعض المصادر التاريخية تروي مشاهد مرعبة عن أمهات اضطررن أكل أبنائهن.[1]

وهذا التوحيدي نفسه يصف أحوال الناس في عصره يقول مُحيلا على شيخ من الصوفية حدّثه فقال: "**كنت بنيسابور سنة سبعين وثلاثمائة، وقد اشتعلت خراسان بالفتنة، وتبلبلت دولة آل سامان بالجور وطول المدة، فلجأ محمد بن إبراهيم صاحب الجيش إلى قايين، وهي حصنه ومعقله ، وورد أبو العباس صاحب جيش آل سامان نيسابور بعدة عظمة، وعدة عميمة، و زينة فاخرة وهيئة باهرة، وغلا السعر وأخيفت السبل، وكثر الإرجاف، وساءت الظنون وضجت العامة، والتمس الرأي، وانقطع الأمل، ونبح كل كلب من كل زاوية، و زأر كل أسد من كل أجمة، وضَبَحَ كل ثعلب من كل تلعة**"[2] هذا عن الفتنة الداخلية.

وفيما يخص الخطر الخارجي فيخبر التوحيدي عنه ويذكر أن الروم تهايجت على المسلمين فسارت إلى نصيبين بجمع عظيم زائد على ما عُهِد على مر السنين، وكان هذا في آخر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فخاف الناس بالموصل ومن حولها، وأخذوا في الانحدار على رعب قذف في قلوبهم، ليكون سببا لما صار الأمر إليه، وماج الناس بمدينة السلام "بغداد" واضطربوا، وتقسم هذا الموج والاضطراب بين الخاصة والعامة، وصارت العامة طائفتين؛ طائفة ترق للدين، وتستعظم ذلك فرقا مما ينتهي إليه، بعد ما يؤتى عليه، وطائفة وجدت فرصتها في العيث والفساد، والنهب والغارة بواسطة التعصب للمذهب.

وافترقت الخاصة أيضا فرقتين: فرقة أحبّت أن تكون للناس حمية للإسلام، ونهوض إلى الغزو، وانبعاث في نصرة المسلمين، إذ قد أضرب السلطان عن هذا الحديث لانهماكه في القصف والعزف، و إعراضه عن المصالح الدينية، والخيرات السياسية، و طائفةً اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسم لمادة الوثوب و الهيج، و أقطع لشغب الشاغب، و أقمع لخلاف المتهم؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق، والتبس

[1]/ جمال الغيطاني، **خلاصة التوحيدي**، المجلس الأعلى، القاهرة، 1995، ص9.

[2]/ يُنظر: أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي،2017، ص485 .

الأمر على الصغار والكبار؛ وبمثل هذا فتحت البلاد، و ملكت الحصون، وأُريقت الدماء وهُتكت المحارم ، وأُبيدت الأمم. [1]

وهكذا ضعُفت دولة الخلافة وتحقق ما قاله الشاعر الذي رآه أبو حيان وسجل شعره في كتابه البصائر والذخائر، قال ذلك الشاعر العلوي بالكوفة وهو يحاول تنبيه العباسيين إلى خطر تلك الانتفاضات القومية :[2]

أرى ناراً تشبّ على يفاعٍ*لها من كل ناحيةٍ شعاع**

وقد رقدت بنو لعباس عنها*ونامت وهي آمِنةٌ رِتاعُ**

كما رقدتْ بنو أميّة ثم هبّت*لتدفع حين ليس لها دِفاعُ**

في تلك الظروف الصعبة راح أبو حيان يطوف شرقا وغربا، من بغداد إلى سر من سامراء، إلى سمرقند، إلى الري، إلى جرجان، إلى جند سابور، إلى مكة التي حج إليها سيرا على الأقدام بصحبة جماعة من الصوفية ، إلى شيراز التي كانت نهاية المطاف، حيث بلغ فيها رأس الجدار أو نهاية الحائط، وانحسر ظله، وثوى في أرضها[3].

وقد وُجد التوحيدي في العصر العباسي الثالث، الذي يبدأ باستقرار الدولة البُويهية سنة 334ه، أما النصف الثاني من القرن الرابع الهجري فيعدّ عصراً مغبشاً بالظلام، إبّان تسلط البويهيين الفرس على حكم العراق الفترة (334-447ه)، فنشروا الفساد والخراب والعبث بالسلطة، حيث عاش الناس على اختلاف طبقاتهم في ظل حكم جائر، إلا أن الضعف السياسي والتفكك الاجتماعي لم يكن موازيا للحياة الأدبية، ولم يمس الأدب في شيء بل على العكس فقد بلغ الأدب في هذا العصر من الازدهار ما لم يبلغه في أي عصر...إذ ساعد تعدد الإمارات والدول في نشوء حركة أدبية وعقلية واسعة.

ذاع الفساد ودب الضعف في الجانب الاجتماعي والاقتصادي في عهد الدولة البويهية، وهذا ما نتج عنه توزيعٌ غير عادل للثروات، فاحتكرت طبقة الأموال والخيرات

---

[1]/ يُنظر: أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، ص534.

[2]/ أحمد عبد الهادي، **أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص24.

[3]/ عبد القادر برجي، **القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2009، ص40.

فعاشت في بذخ وترف مثّلها خاصةً الحكام وحاشيتهم، بينما عاشت طبقت أخرى البؤس والحرمان وإلى هذه الطبقة ينتمي معظم الأدباء والكُتاب.

لكنه يعتبر من أزهى العصور الفكرية والعلمية؛ فعصر الإسلام الذهبي للعلم خاصة، هو العصر الذي نحن بصدده (عصر التوحيدي)...لأنه فيه نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها، وتم نموها، وظهرت الكتب الواقعية في أكثرها، ولاسيما في اللغة وعلومها، وفي التاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة، وقد دفع ذلك كثيرا من الكتاب إلى القول بأن الحالة السياسية المتدهورة لا يتبعها بالضرورة تدهور أدبي وثقافي، فلا تلازم في رأي هؤلاء بين الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية، ذهب إلى ذلك "أحمد أمين" إذ يقول: "فنحن نستنتج من هذا أن العلم والسياسة لا يتماشيان جنبا إلى جنب؛ حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذاك، بل قد يكون الأمر على العكس، قد يكون الضعف السياسي متمشيا مع زهو العلم،[1] كما حدث في عصر التوحيدي.

ويفسر أحمد الحوفي هذه العلاقة بين الحركة العلمية و الحالة السياسية التي قد تبدو متناقضة بأن "من الحقائق المقررة في تتبع الحركات العلمية والأدبية، أنها لا تتمشى مع العصور السياسية مشي التلازم المحض، فتطفر مع السياسة وتهبط بهبوطها، لأن السياسة قد تجيء مفاجئة، وقد تجيء على مهل وتدبير أما الحركة العلمية والأدبية فلا بد لها من تمهيد طويل، ولا بد لانقطاعها أو ضعفها من مهلة زمنية تطول أو تقصر".[2]

وفي هذا العصر المتدهور سياسيا توجهت العقول لتهضم المنقولات من الثقافات الأخرى، ضِف إلى ذلك أن الانقسامات السياسية كانت سببا في تعدد مراكز الإشعاع الفكري؛ فبعد أن كانت بغداد هي وحدها منبع الشهرة وذيوع الصيت، جاءت الانقسامات فأصبح لكل قطر عاصمة تجتذب حولها الأدباء وتصبح مركزاً علميا، كل أمير يعطي عطاء الخلفية الذي بقي محافظا على هذا اللقب شكليا، بل كان الأمراء والوزراء يفاخرون باحتواء بلاطهم ومجالسهم أفضل وأكبر عدد من ذوي العلم والأدب، ولعل هذا ما حدا بأبي حيان أن يقصد أكثر من وزير، مترددا على مجالسهم.[3]

---

[1]/ وسيم إبراهيم، **نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي**، ص15.

[2]/ عبد القادر برجي، **القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، ص40.

[3]/ ينظر: عبد القادر برجي، **القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي**، ص41.

ويستنتج من هذا أن العلم والسياسة لا يتمشيان جنبا إلى جنب، حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذاك، بل قد يكون الأمر على العكس، قد يكون الضعف السياسي متمشيا مع زهو العلم"[1]، وبالفعل في هذا العصر المتدهور سياسيا توجعت العقول لتهضم المنقولات من الثقافات الأخرى، ونضجت العلوم، وظهرت الكتب والمؤلفات، لاسيما في اللغة وعلومها، وفي التاريخ والأدب والفلسفة، و غدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقافة العربية والإشعاع الفكري، و ظل العرب عاكفين على الإفادة من التراث الضخم الذي خلفته جهود العلماء و المترجمين في العصور السابقة.

في ظل تلك الظروف السياسية الصعبة اتجهت العقول نحو الأخذ والاستفادة من منقولات وتراجم الأمم المختلفة الثقافات، ويمكن القول أن الانقسامات السياسية قد سببت تعدد مرتكز الإشعاع العلمي والفكري، فقد ساعدت تلك الانقسامات على ظهور عواصم لمختلف الأقطار وأصبحت هذه العواصم مراكز إشعاع علمي، ولم تبق بغداد لوحدها منبع الشهرة ومركز العلوم والثقافات، بل وكان الأمراء والخلفاء يتنافسون ويتسابقون أيّهم يُضمن قصره وبلاطه أكبر عدد من العلماء والأدباء، وربما هذا ما حدا بالتوحيدي أن يقصد مجالس الوزراء وقد ترك لنا إثر هذا علما وأدبا غزيرين، وجاءت كتاباته جامعة لكن ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية، وما امتد إليها من خارج حدودها من الفرس والهنود واليونان خاصة .

2-سمات الحركة العلمية والأدبية في القرن الرابع الهجري:[2]

- استكملت العلوم أسباب النضج والنماء، وظهر ذلك جلياً في المعاجم اللغوية والفلسفة والطب والطبيعيات، والتاريخ وتقويم البلدان وغيرها مما صنفوه أو نقلوه عن اليونان والفرس والهنود.
- انتهى تطور النثر الفني إلى أسلوب خاص: إذ امتازت أكثر كتاباتهم بالتفنن في التعبير وجنحوا إلى الصناعة والسجع، واحتفلوا باللفظ ومالوا إلى التطويل وإيثار الخيال الشعري وغير ذلك من السمات.
- كثُرت المكتبات العامة والخاصة.

---

[1]/ وسيم إبراهيم، **نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي**، ص15.

[2]/ يُنظر: أحمد عبد الهادي، **أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة**، ص38-39.

- ازدهر المذهب الشيعي لأن إل بويه في الشرق شيعة ولأن الفاطميين في مصر أشد منهم تشيّعاً، وكذلك القرامطة...
- شاعت في العالم الإسلامي مذاهب شتى في القرن الرابع الهجري، وتزاحمت في البلد الواحد واشتد بينهما الصراع ففي ببغداد نحل شتى متناحرة، وفي العراق والأهواز وفارس وأصبهان مجوس، وفي البصرة قدرية وشيعة وحنابلة....
- خفّت حدة الشعور بالشعوبية بقيام دول غير عربية رغم اعتراف بعضها بالخلافة العباسية، فقد خضعت بعض الأقاليم لبني بويه وقويّ نفوذ القرامطة..
- ظهرت شخصية العواصم والمدن واضحة في نسبة علمائها وأدبائها إليها: الأصفهاني، الرازي، البخاري، والنيسابوري...
- كانت اللغة العربية هي لغة الأدب والحكومة في القرن الرابع الهجري.
- اصطبغ شعر بعض الشعراء بصبغة إقليمية واصطبغ شعر آخرين بالفلسفة كابي العلاء المعري.
- خلفت العواصم التي ينتمون إليها بغداد في الريادة فصارت مثابة الأدباء والعلماء والفلاسفة والشعراء.
- حسبُ القرن الرابع الهجري أن يتألق في سمائه عشرات من كبار الكتاب، وعشرات من العلماء والفلاسفة، فمن الكتاب الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني وابن العباد وأبو الفضل بن العميد، والشريف الرضي وأبو الفرج الأصفهاني...

ومن الفلاسفة والعلماء: ابن مسكويه، الفارابي، ابن سينا، ابن دُريد، ابن الأنباري، الباقلاني، الرازي، ابن شهيد، ابن حزم، أبو هلال العسكري...

- والقرن الرابع الهجري خاصة هو فترة مشرقة من التراث العربي، إذ نضجت فيه العلوم وتطورت، وزاد الاهتمام بالترجمة والتعريب، وامتزجت الثقافة بالأدب مستعينة بالتراث اليوناني، وشهد هذا العصر ازدهارا في حركة الفلسفة والعلم والأدب.

لقد كان عصر التناقضات بحق، الزاهي بالعلم والأدب، والمظلم بالانقسام والظلم الاجتماعي والفساد.

3-تطور فن الكتابة في القرن الرابع الهجري

تطور النثر الفني في القرن الرابع الهجري أيما تطور بل وبلغ ذروة الرقي والازدهار، وأصبح يعبر عن خلاصة الأفكار والآراء التي تهُمّ وتستهوي الأدباء والكتاب في ذلك العصر، وتحت تأثير تلك الظروف اصطبغت عقلية الأدباء بأصباغ خاصة من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم، والبعد عن الخيال، ثم إن تعدد منازع الفكر وتنوع مشاهد الحضارة وكثرة أغراض الحياة الجديدة، وضعف السليقة العربية وفشو اللحن ، كل هذا جعل الكتابة صنعة معقدة في قواعدها وأساليبها، فانفرد بسمات جعلته موضوعاته واسعة، وأصفى أسلوبه صافيا قويا، فزينوه وجمّلوه بالتقسيم والسجع فتأنقوا فيه، وغدا التصنيع موجة حادة لم يسلم منها إلّا القليل ووصل حتى كتب التاريخ، ولم تكن هذه السمات وليدة العصر، بل هي خصائص نثرية تراكمت من العصور السابقة، تطورت ووصلت إلى أوجِّ نضجها وازدهارها فاكتملت صورة النثر الفني في هذا القرن.[1]

لما كان القرن الرابع الهجري، وخفت حدة النقد على الكُتّاب والشعراء تشبث الكُتاب بالصناعة اللفظية، وكان أول الداء انتشار السجع في أساليبهم...وتفصيل ذلك أن كُتاب القرن الرابع الهجري لم يكتفوا بما صنعه أسلافهم من سجع قليل بل ساروا بأساليب الرسائل أشواطا أخرى مثل:

1. الإكثار من السجع المصنوع في أواخر الفواصل والتزموا بها التزاما تاما.
2. اضافوا إلى التزام السجع في أساليبهم ما عُرف في القرن الرابع من ألوان البديع سواء في ذلك اللفظي والمعنوي.
3. تأثر الكُتاب في أساليبهم بالشعراء، فأكثروا من تضمين رسائلهم بالشعر بعد أن كان هذا التضمين قليلا في العصر السابق... وهذا مردّه إلى أن أكثر الكُتاب في ذلك القرن كانوا جميعا يقرضون الشعر. [2]

وقريبا مما ذُكر سابقا أورد زكي مبارك في كتابه "**النثر الفني في القرن الرابع هجري**" مجموعة من الخصائص نلخصها كالآتي:

---

[1]/ يُنظر: سعاد جوهري، **بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي**، ص57.

[2]/ أحمد عبد الهادي، **أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة**، ص47.

✓ **وأولى هذه الخصائص إيثار البديع** فقد كان الكُتاب السابقون يميلون إلى المحسنات البديعية ولكن في غير إسراف، فلما جاء كُتاب القرن الرابع قصدوا إليها قصدا، وأسرفوا في توشية الكتابة بفنون التورية والموازنة والمطابقة والجناس.[1]

ويمكن تحديد ما اختص به النثر في هذا العصر بالصفات التالية:

✓**التزام السجع** في جميع الرسائل، حتى المطولة منها التي يُراد بها تقييد مناظرة أو شرح مسألة؛ كالذي وقع فيما كتبه بديع الزمان الهمذاني عن المناظرة التي كانت بينه وبين أبي بكر الخوارزمي...وكان الكُتاب قبل ذلك يسجعون، ولكنهم لم يكونوا يلتزمون السجع في جميع الموضوعات، ومن كُتاب هذا العصر من جانب التزام السجع، كالشريف الرضي، وأبي حيان التوحيدي، ولكنهم كانوا يعودون إليه من حين إلى حين.[2]

✓**الحرص على تضمين النثر أطايب الشعر ومختار الأمثال،** فمن الكُتّاب من يبدأ رسالته ببيت أو بيتين يتقدم بهما كلامهن كما كان يفتتح الأولون رسائلهم بحمد الله والصلاة على نبيه، ومنهم من يختتم رسالته بالشعر...، وهم مع ذلك يتخيرون من الأشعار والأمثال ما يحلون به تضاعيف الرسائل، يذكرون اسم الشاعر تارة ويغفلونه تارة أخرى.

وفي رسائل بديع الزمان الهمذاني رسالة رصّعها بالشعر لم أجد لها نظيرا عند غيره؛ إذ يقول:

أنا لقرب الأستاذ–أطال الله بقاه:

كما طرب النشوان مالت به الخمر

ومن الارتياح للقائه:

كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن الامتزاج بولائه:

كما التقت الصهباء والبارد العذب

ومن الابتهاج بمرآه:

كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

---

[1]/ زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص105.

[2]/ المرجع نفسه، ص106.

وهذا النمط جميل، ويدل فوق جماله على معرفة الكاتب بأسرار الشعر البيلغ.[1]

✓ أُلِف كتاب القرن الرابع الكتابة في بعض الموضوعات التي كانت خاصة بالشعر؛ كالغزل والمديح والهجاء...وذلك لأنهم نقلوا محاسن الشعر إلى النثر من الاستعارة والتشبيه والخيال، والنثر إذا أخذ خصائص الشعر أصبح أقدر منه على الوصف لخاوه من قيد الوزن والقافية، وكذلك أصبح النثر في القرن الرابع أداة لتقييد الخواطر النفسية، والملاحظات الفنية؛ بحيث يرى القارئ من جمال الصنعة ودقة الأسلوب ما يُغنيه عن التفكير في قصائد الشعراء الذين سبقهم هؤلاء الكُتاب إلى تصيّد ما يقضي به العقل، أو يوحي به القلب، أو يشير إليه الخيال.[2]

✓ عدم التقيد بصيغة خاصة في بداية الكتب، فقد كان القدماء يحرصون على الابتداء بحمد الله والصلاة على نبيه ... ولكن كُتاب هذا العصر أخذوا يجرون على فطرتهم في تخير البدايات؛ فمنهم من يبتدئ ببيت من الشعر، أو بحكمة مأثورة، أو مثل معروف، أو قصة صغيرة، ثم يدخل في الموضوع، ومنهم من يكتب مباشرة من غير أن يتقدمه بشيء، وهم في ذلك كله يجرون على خطة مقبولة، ولا يراعون القواعد إلا إذا خاطبوا الوزراء أو الأمراء أو الملوك، فعند ذلك يبدؤون بالعبارات المملوءة بالمجاملة والرفق.[3]

والتزام السجع أصبح من خصائص النثر الفني في القرن الرابع الهجري، وقد قسم زكي مبارك كتاب هذا العصر إلى ثلاث طوائف، قائلا: "**وكُتاب هذا العصر ينقسمون إلى ثلاث طوائف: طائفة تلتزم السجع التزاما مطلقا ولا تخرج عنه إلا في قليل من الأحيان، ومن أشهر هذه الطائفة: بديع الزمان والخوارزمي والثعالبي والصابي والميكالي وابن عباد وابن دريد وابن نباته وابن وشمكير، وطائفة تؤثر الازدواج وتسجع من حين إلى حين، وعلى رأسهم ابن العميد، والتوحيدي والآمدي والرضي والباقلاني والعسكري والحاتمي وابن شُهيد، وطائفةٌ تؤثر الحرية في الصياغة الفنية، فلا تسجع ولا تزاوج إلا**

---

[1]/ يُنظر: زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، ص106-107.

[2]/ يُنظر: **المرجع نفسه**، ص107.

[3]/ **المرجع نفسه**، ص110.

قليلا، ومن هؤلاء: ابن مسكويه والمرزباني وابن فارس والجرجاني والأصفهاني والتنوخي وأحمد بن يوسف المصري ".[1]

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن الأدب عامة والنثر خاصة وصل إلى قمة ازدهاره وتطوره في العصر العباسي خاصة في القرن الرابع الهجري رغم مختلف الظروف السياسية والاقتصادية التي لم تكن مواتية لهذا التطور، بل وكانت معاكسة له تماما، ورغم هذه الظروف إلا أنه قد تمخض عنها نتاج علمي وفكري وأدبي أقل ما يقال عنه أنه آية في التقدم والتطور.

يمتلك القرن الرابع الهجري خصوصية نثرية فنية متفردة، جعلت الدارسين يصنفونه أزهى العصور الأدبية، خاصة تلك الرسائل الأدبية التي كُتبت و يرى" **أدم ميتز** " في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة، وامتلاكهم لناصية البيان، فيقول: "ورسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية من ازدهار الفن الإسلامي، ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان؛ وهي اللغة... نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة، وتلاعبهم بذلك تلاعباً، وليس من محض الاتفاق أن كثيرا من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدير ما جعلها خليقة أن تُنشر كُتباً للناس، وكان من أولئك الوزراء: الخصيبي، وابن مقلة، والمهلبي، وابن العبيد، والصاحب بن العباد، والإسكافي وزير السامانيين ".[2]

4- خصائص النثر الفني في كتابات التوحيدي

وحديثنا عن النثر العربي في القرن الرابع الهجري، وعن أساتذة البيان فيه، يسوقنا إلى الحديث عن التوحيدي كواحد من أعظم كتاب النثر القديم آنذاك، وهو من الذين نالوا الحظوة والمكانة عند الباحثين، رغم الاختلاف البيّن في سنة ولادته ووفاته ونسبه، فقد عدّه ياقوت الحموي في معجم الأدباء " فرد الدنيا لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة"، وجعله السبكي في طبقات الشافعية الكبرى من فقهاء الشافعية ومن المؤرخين

---

[1]/ زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، ص113.

[2]/ آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب الغربي، بيروت، لبنان، ط5، د.ت، ص447.

الكبار اللامعين. كذلك أعجب به من المحدثين، بفكره وأسلوبه **آدم ميتز**، الذي اعتبره أعظم كتاب النثر العربي على الإطلاق فقال عنه: " ولم يكتب في النثر العربي بعد أبي حيان التوحيدي ما هو أبسط وأقوى وأشدّ تعبيرا عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان، ولكن الجمهور كان يميل إلى طريقة الآخرين في البديع فيجري عليها"،[1] ويقصد بالآخرين الكتاب والأدباء الذين اتسمت كتاباتهم بكثرة البديع ولصور البيانية والإفراط في استعمال السجع حتى يصبح النص لوحة مزركشة مملوءة بألوان الزخرفة، ففي مقابل هذا الترف البديعي نجد التوحيدي الذي خالف معاصريه في طريقة الكتابة، والتزم أمثال الجاحظ، وقد كانت طريقته تتسم بالسهولة، والقوة والبساطة وشدة تعبيرها عن نفسية صاحبها.

عاش أبو حيان التوحيدي في القرن الرابع الهجري، فعاصر رُقي الحياة العقلية، وتقدم العلوم والفنون، وتنوع الثقافات والحركات الفكرية، وظهر اثر كل هذا في كتبه ورسائله، حتى لقد اعتبره بعض الباحثين الناطق بلسان الثقافة العربية في القرن الرابع الهجري، ثم إننا لا نعد التوحيدي مجرد مسجل لثقافة القرن الرابع الهجري بل هو مفكر موسوعي أراد أن يمزج الفلسفة بالأدب.[2]

إن أسلوب التوحيدي يعتمد على تنسيق الأخبار، فالثقافة التي اكتسبها التوحيدي جعلته يهتم بترتيب أفكاره وجمع المعلومات وإعادة صياغتها صياغة فنية تدل على براعة في السبك والتأليف، وهذا النمط من السبك والتأليف عرف به التوحيدي في جميع مؤلفاته، فقد كان ينطق الناس في كتبه بفنون الأحاديث التي فيها متعة للعقل والذوق والإحساس، وفي كل ما كان ينقل أو يحدث لم يكن يعرف غير الصدق، ولكن مع هذا الصدق كان صلفا مع نفسه فلم يظهر إلا ما كان يراه ولم يكن يجامل على حساب عقيدة أو مبدأ أو رأي.[3]

ولا شك في أن التوحيدي استثمر مختلف الأساليب البلاغية وانتهجها طريقته في الكتابة، التي تتأسس على نظرة جديدة في الحياة وتخالف من عاصروه في ذلك القرن

---

[1]/ آدم ميتز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ص465.

[2]/ زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، المؤسسة المصرية العامة، د.ت، ص224.

[3]/ زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**، ص351.

خاصة، إذ تميز بلون خاص به يخرج عن السياق العام للثقافة السائدة في عصره، محاولا إيجاد خصوصية له ورسم منهج جديد في الكتابة، ، إن اللغة الأدبية بهذه الصورة تفرض على الكاتب دراية واسعة ومعمقة بمستوياتها المختلفة من صوت وصرف وتركيب ومعجم، كما تستوجب امتلاكه لناصية البلاغة والبيان والعروض، وكل ما أمكنه من العلوم والفنون.[1]

وحقيقة فكر أبي حيان التوحيدي كله خلق و إبداع وهو مدرك لكل هذه الشروط والمتطلبات، جامعا لكل الفنون والعلوم، بل ومدركا لحقيقتها، وما حوته كتبه لشاهد على موسوعيته، فقد كان كأستاذه الجاحظ متبحرا في اللغة، عالما بدقائقها، وليس هناك من هو أقدر على التعبير، وأمكن في باب التصوير ممن أحاط بأسرار اللغة، وسبر أغوارها وهو الداعي إلى ممارسة التحصيل والمطالعة اكتسب ثروة لغوية هائلة من نسخ الكتب والتدقيق في تأليفها، وهي التي مكنته من امتلاك ناصية الكلام، والاستحواذ على جوامعه.[2]

وبصفة عامة فإن رسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية من ازدهار الفن الإسلامي، ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان، وهي اللغة، ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنانين في ذلك العهد... لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة، وتلاعبهم بذلك تلاعبا.[3]

---

[1]/ يُنظر: سالم حميش، "تجربة الوجود والكتابة عند الوحيدي"، **مجلة فصول في النقد الأدبي**،ج1، ص63.

[2]/ يُنظر: عبد الحكيم بلبع، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، ص 295.

[3]/ آدم ميتز، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ص447.

المبحث الثاني: التعرف على الرسالة ومضمونها العام

1-التعريف بالرسالة

كتاب الصداقة والصديق الذي تقترب صفحاته -المطبوعة- من الخمسمائة صفحة، جميعه قُول ومأثورات اختارها التوحيدي، ورواها وألف بينها ــمن المنظوم والمنثور... فهي مأثورات جمعها ممن تقدّم من الشعراء والأدباء والفلاسفة والعلماء، بناءً على طلب الوزير ابن سعدان[1].

هكذا تقوم صفحات كتاب الصداقة والصديق مثلها مثل صفحات الإمتاع والمؤانسة والمقابسات، ونصوص التوحيدي في هذه الصفحات شاهدة على أن الرجل كان راوية وجامعا ومُختارا ومحققا، أكثر منه مبدعا ومنشئا ومبتكرا.[2] وهو بالدرجة الأولى جامع ومصنف... له فضل الجمع والاختيار والتأليف والتصنيف والتدوين... ومصادره هي الوراقة التي احترفها، ومجالس العلماء التي حضرها، فتصانيفه كنز لأفكار سمعها شفاهة فكان له فضل تدوينها وحفظها من الضياع...وذخائر جمعها من كتب ضاع الكثير منها فيما ضاع من تراث المسلمين، وخاصة في دمار بغداد على يد التتار... وهو في كل ما صنف وجمع وروى قد أقام للفكر بناء شامخا اجتهد في الجمع والاختيار للبناته. [3]

هذا المؤلف الرائع الذي لخص فيه التوحيدي موضوعا كاملا يخص الصداقة ومختلف القيم والعلاقات المرتبطة بها؛ بحشده فيه مجموعة آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وأقوال لفلاسفة وأبيات شعرية لعديد الشعراء...، فالرسالة إذن مجموعة مختارات انتقاها التوحيدي مما قيل في الصداقة شعرا ونثرا منذ الجاهلية حتى عصره.[4]

2-تحقيق الرسالة

طبعت رسالة الصداقة والصديق أول مرة في القسطنطينية في مطبعة الجوائب سنة 1301ه، والمعتقد أن فارس الشدياق والمعتقد أن فارس الشدياق أشرف على تحقيقها

---

[1]/ محمد عمارة، أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص49.

[2]/ المرجع نفسه، ص50.

[3]/ المرجع نفسه، ص54-55.

[4]/ كميلة واتيكي ، **كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة**، دار قرطبة، المحمدية، ط1، 2004، ص55.

معتمدا على مخطوطة غير التي قُمنا بتحقيقها نظراً لوجود فوارق كثيرة بين المخطوطتين وخطأ كثير في المطبوعة نبعد أمثال الشدياق عن الوقوع فيها.[1]

وطبعت الرسالة للمرة الثانية في القاهرة **سنة 1323ه** بعنوان: " **الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق**"، وهي منقولة حرفيا عن طبعة الجوائب واعتمدت على تحقيق إبراهيم الكيلاني.[2]

وقال إبراهيم الكيلاني في أول المدونة –تحقيق الرسالة–: "أما المخطوطة التي اعتمدنا عليها في تحقيق الرسالة فهي محفوظة ضمن مجموع في مكتبة أسعد أفندي في استانبول بعنوان: الرسالة في الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي رقم: 1/3542 و يترواح عدد سطور الصفحات بين 24 و26سطر والخط نسخي عادي مقروء إلا في بعض المواضع".[3]

3–سبب وتاريخ تأليف الرسالة

جاء عن سبب إنشاء الرسالة **الصديق والصداقة**[4]: "**أني ذكرت منها شيئا لزيد بن رفاعة أبي الخير، فنمّاه إلى ابن سعدان الوزير أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة(371ه) قبل تحمله أعباء الدولة وتدبيره أمر الوزارة... فقال لي ابن سعدان: قال لي عنك زيدا كذا وكذا. قلتُ: قد كان ذاك. فقال لي: دوّن هذا الكلام وصله بصلاته، مما يصحّ عندك لمن تقدم، فإن حديث الصديق حلو، ووصف الصاحب المساعد مطرب، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان** ".[5]

شرع التوحيدي في تأليف الرسالة في السنة المذكورة سابقا(371ه) لكنه لم يكمل العمل إلا سنة أربعمائة عندما طلب منه الوزير بن سعدان ذلك، وهذا جليّ واضح من قوله: "**فجمعت ما في هذه الرسالة، وشغلت عن رد القول فيها، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره مما كان، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربع مائة عثرت**

---

[1]/ ينظر: التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص24.

[2]/ المصدر نفسه، ص24.

[3]/ المصدر نفسه، ص25.

[4]/ واتيكي كميلة، كتاب **الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة**، ص55.

[5]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص35.

على المسودة وبيضتها على نحيلها"[1]، أي بعد مرور ثلاثين سنة تقريبا من طلب الوزير، مما يعني أن الرسالة كتبت في مرحلتين من عمر التوحيدي، بدأها في شبابه وختمها في شيخوخته، قائلا: "**شمس العمر على شفا، وماء الحياة إلى نضوب، ونجم العيش إلى أفول، وظل التلبث إلى قلوص**"[2] ، وهذا ما جعل معظم الأدباء والباحثين يربطون بعض هفوات الرسالة وعد تنظيمها وتبويبها بالظروف النفسية للكاتب المتمثلة في طول الفترة التي استغرقها في كتابة هذه الرسالة، إضافة إلى تقدمه في السن.

وكان سبب تبييض هذه الرسالة ما ذكره التوحيدي نفسه في مقدمتها حيث أنه قال:

" **سُمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة وما يلحق بهما من الرعاية، والحفاظ، والوفاء، والمساعدة، والنصيحة، والبذل، والمؤاساة، والجود والتكرم، مما قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفا أثره عند العام والخاص**، وقد سئلت إثباته ففعلت".[3] ووسع التوحيدي كلامه ودعمه بجملة مما قاله أهل الفضل والحكمة، وأصحاب الديانة والمروءة، فكانت الرسالة تامة يمكن أن يستفاد منها في المعاش والمعاد.

وقد كان لتأليف هذه الرسالة دافع آخر غير الدافع الخارجي المتمثل في طلب الوزير، لعله تلك الظروف النفسية العصيبة التي عاشها التوحيدي معظم حياته والتي جعلت منه ذلك الرجل البائس الذي تتصارع في داخلة ألوان الحرقة والأسف والحسرة والغيظ والكمد، وقد عبر عما يكتنفه من مظاهر النكد والتشاؤم قائلا: "**ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والأسف والحسرة والغيظ والكمد والومد، وكأني بغيرك إذا قرأها تقبضت نفسه عنه...**".[4]

كما يقول بعد تقدمه في السن مُعبراً عن حاله البائسة واغترابه في مجتمعه: " **فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة،**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص35.

[2]/ المصدر نفسه، ص34.

[3]/ المصدر نفسه، ص29.

[4]/ المصدر نفسه، ص34.

قانعا بالوحدة، معتادا للصمت، مجتنفا على الحيرة، محتملا الأذى، يائسا من جميع ما ترى، متوقعا لما لا بد من حلوله".[1]

4-طريقة عرض الرسالة ومضمونها العام

لم يعتمد التوحيدي طريقة منظمة في عرض رسالته، إذ لا توجد عناوين ولا موادٌ مستقلة ، فقد جمع المؤلف دون ترتيب مختلف ما سمع أو قرأ عن فكرة الصداقة، وفي هذا الكتاب الذي لا يخضع لأبواب ولا فصول حافظ التوحيدي على وحدة الموضوع خلافاً لبعض مؤلفاته، حيث جاء دون تبويب مشتملا على بعض من الآيات القرآنية ومختارات من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام صحابته وآل بيته الأطهار، وشملت الرسالة كذلك مجموعة نصوص شعرية ونثرية وعدة مراسلات بين معاصريه تتَّصل بالصداقة والصديق، سواء أأقرّت بفائدة الصداقة أو نَفتْها.

افتتح التوحيدي رسالته الأدبية بالبسملة قائلا: " **بسم الله الرحمن الرحيم**"، طالبا بذلك بركة من الله تعالى في تبليغ رسالته، واتجه مباشرة بعد البسملة إلى الدعاء، ليوطد الصلة بالله تعالى في مناجاة إنسان ضعيف قد أتعبته الحياة، وجرعته مرارة الوحدة والغربة فقال: "**اللهم خذ بأيدينا فقد عثرنا، واستر عيوبنا فقد أعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقي الجيوب، حتى نتعايش في هذه الدار مصطلحين على الخير، مؤثرين للتقوى، عاملين شرائط الدين، آخذين بأطراف المروءة، آنفين من ملابسة ما يقدح في ذات البين، متزودين للعاقبة التي لا بدّ من الشخوص إليها، ولا محيد عن الاطلاع عليها، إنك تؤتي من تشاء ما تشاء".**[2] ونلاحظ أن التوحيدي يدعو الله تعالى راجيا منه العون والستر لأن حياته أخذت منه الأمل والرجاء وربما جردته من الأخلاق والفضائل، وجعلته شخصا قلقا مضطربا.

ثم يورد كلاما مطولا للسجستاني عن الصداقة العجيبة التي تربط بينه وبين ابن سيار القاضي، ويضيف بعدها أقوالا عن صداقة الملوك وصداقة التجار وصداقة أهل الدين، نورد على سبيل المثال قولا لأبي سليمان عن صداقة الملوك: " **فأما الملوك فقد**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص34.

[2]/ المصدر نفسه، ص 29.

جلوا عن الصداقة، ولذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا توفي بعهودها، وإنما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستخفاف".[1] ... ويلي هذا استشهاده وتمثيله بكلام الشعراء والكتاب أمثال جميل بن مرة وابن كعب وأبي اسحاق الصافي... وغيرهم كثير، وينصح بعد ذلك بالحذر من الأصدقاء، ويواصل حديثه عن الصداقة والحث على الصبر ووصف الجليس... والنقل متواصل لشعراء وحكماء بعضهم معروف، والكثير منهم مجهول الاسم.

ولذلك فإن فقرات هذا الكتاب جميعها مسبوقة بهذه العبارات أنبأنا... وسمعت... وقال... وحدثني... وكتب...وكتب آخر... وقال فيلسوف... وقيل لفيلسوف... فقال... وروى... وقرأت ل... وكتب إلى صديق له...وذكر أعرابي... وقيل لأعرابي...[2]

وبعد أن بلغ التوحيدي أقل من نصف الكتاب نجد له قولا يبدو من خلاله أنه سيختتم كلامه وينهي حديثه المشوق عن الصداقة، فيقول: "**قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق، وما يتصل بالوفاق والخلاف، والهجر والصلة، والعتب والرضا، والمذق والرياء، والنفاق والحيلة، والخداع والاستقامة، والالتواء والاستكانة، والاحتجاج والاعتذار، ولو أمكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه، وأحرى إلى الغاية في ضم الشيء إلى شكله، وصبه في قالبه، فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن... ولو أردنا أن نجمع ما قاله كل ناظم في شعره وكل ناثر في لفظه لكان ذلك عسيرا أو متعذرا** ".[3] إلى أن يعزم على إنهاء الرسالة فيقول:" **ونروي في هذا الموضع بقية أبيات وإن عن شيء حَكَيْناه، ونُغلق الرسالة فإنها إذا طالت بُغضت**".[4]

وحسب القول السابق للتوحيدي يبدو للقارئ أن كلامه عن الصداقة سينتهي بعد إيراده لبعض الأبيات الشعرية، ولكننا نراه يعود إلى الاستفاضة في موضوعه من جديد موردا الأقوال والأشعار، بل ومضيفا منها أكثر ممّ كتب سابقا، ولقد طالت الرسالة على

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص32.

[2]/ المصدر نفسه، ص35.

[3]/ المصدر نفسه، ص160.

[4]/ المرجع نفسه، ص161.

غير تقدير التوحيدي وخلافا لكلامه لأنه وعد بأنه سيختمها ببعض الأبيات، لأنها إذا طالت أبغضت، وإذا أبغضت هجرت، ولكنه لم يختمها إلَّا بعد (172) صفحة.

وهكذا ينتقل التوحيدي من قول إلى شعر ومن فكرة إلى حكمة، كلما شعر بأنه أطال في الموضوع اعتذر عن ذلك حتى وصل بأعذاره نهاية الرسالة قائلا: " **قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة، هذا وكان ظني في أولها أن تكون لطيفة خفيفة، يسهل انتساخها وقراءتها، فماجت بشجون الحديث، و روادف من الطيب والخبيث، فاقبل حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته وأعدته، ونشرته وطويته، على أنك لو علمت في أي وقت ارتفعت فيه هذه الرسالة وعلى أي حال تمّت لتعجبت، وما كان يقِل في عينك منها، يكثر في نفسك، والله أسأل خاتمة مقرونة بغنيمة...**" [1]، كما وختم رسالته بالدعاء أيضا كما بدأها بالدعاء وقال متوجها لله تعالى، مُستعينا به يسأله التخفيف من وطأة " **كل ما هم النفس، ووزع الفكر، وأدنى من الوسواس**".[2] متيقنا بأن الله هو المعين في أمور الدنيا والآخرة، ثم يحمد الله رب العالمين ويصلى على نبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم– ، دون أن ينسى آل النبي الطاهرين، ويختتم الرسالة بقوله: "**حسبنا الله ونعم الوكيل**"، العبارة التي تدل على توكله على الله في كل الأمور.

ويمكننا تعليل عدم تنظيم الرسالة وتلك الفوضى بعامل التقدم في السن، فقد جمع التوحيدي الرسالة في سن متقدمة، وهو القائل في مقدمة رسالته:" "**شمس العمر على شفا، وماء الحياة إلى نضوب، ونجم العيش إلى أفول** "[3]، ثم أعاد وذكر تقدم سنه في خاتمة رسالته، بل في اعتذاره من طولها–إن صح التعبير–قائلا: " **فقد بلغت شمسي رأس الحائط**".[4]

ويمكن إضافة سبب آخر حال بين التوحيدي وبين تنظيم وتبويب رسالته هو كون مادة الرسالة من أحاديث وأقوال وأشعار مصدرها المشافهة والسماع، فقد روى التوحيدي الكثير من أحاديث الصداقة وأشعار الألفة والصحبة في مختلف في المجالس العلمية

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص356.

[2]/ المصدر نفسه، ص356.

[3]/ المصدر نفسه، ص34.

[4]/ المصدر نفسه، ص356.

والأدبية، وقد أشار إلى أنه تلفظ بمجموعة أقوال عن الصداقة وما يتصل بها من عشرة ومؤاخاة وألفة... في بداية الرسالة عندما قال: " **سُمع مني في مدينة السلام كلام في الصداقة**". [1] وبعدما ألقى هذا الكلام وأعجب به السامعون، طُلب منه تدوينه وحفظه، فهو القائل: "**فسُئلت إثباته ففعلت**".[2]

كما يُمكن عدُّ ظروف العصر المضطربة التي عايشها التوحيدي المذكورة سابقا سببا في مجيء رسالته دون نظامٍ أو ترتيب، أو تبويب في هذه الرسالة ، فقد عايش عصراً لا نظام فيه ولا ترتيب، فهو عصر بعيد كل البعد عن الاستقرار السياسي منه والاقتصادي.

ولعل هذا هو السبب في أن الرسالة قد جاءت عديمة التبويب والترتيب، يكثر فيها الاستطراد والاستشهاد، ويقل فيها الخلق والابتكار، وإن كانت لا تخلو من ذوق في الاختيار. [3]

[1]/ أبوحيان التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص29.

[2]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]/ زكرياء إبراهيم، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص102-103.

المبحث الثالث: ماهية الصداقة عند التوحيدي

1-مفهوم الصداقة عند التوحيدي

الصداقة عند التوحيدي عاطفة اصطفائية وفصيلة إنسانية يختارها الإنسان بمحض إرادته واختياره ليكوّن بها مع الأفراد الآخرين صلات وروابط يشبع بها حاجاته ومتطلباته ويضمن أمنه واستقراره النفسي، على أن يؤخذ بعين الاعتبار رغبة وإرادة الآخر الذي يودّ هو أيضا إشباع حاجاته ومتطلباته ويضمن أمنه واستقراره النفسي، وهي ككل عاطفة أساسية مرتبطة بصميم الحياة الشعورية تتفرع عنها جملة من الفضائل الخلقية والسلوكية تضمن لها البقاء والنماء كالعشرة والمؤاخاة والألفة وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمواساة والجود والتكرم.[1]

والصداقة فضيلة إنسانية يراد تحقيقها بين الناس وإن كان ذلك بصعوبة بالغة، وهي عاطفة ترتبط بصميم الحياة وتتفرع عنها جملة من الفضائل الخُلقية والسلوكية تضمن لها البقاء والاستمرارية ك"العشرة والمؤاخاة والألفة وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمساواة والجود والتكرم".[2]

يقول أبو حيان التوحيدي: " قلت للأندلسي: ممّ أُخذ لفظ الصديق؟ قال: اُخذ بنظر من الصدق، وهو خلاف الكذب. ومرةً قال من الصدّق، لأنه يُقال: رُمح صدقٌ، أي صلبٌ، وعلى الوجهين، الصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقا إذا عمل، قال: وصداقة المرأة وصداقها وصدقتها كله منتزع من الصدق والصدّق، وكذلك الصادق، والصديق، والصدوق، والصداقة، والمتصدق، والمصدق، كل هذا متواخٍ ".[3]

فالتوحيدي يرى بإيراده لتعريف الأندلسي للصديق أن الصديق لفظ مشتق من الصدق، وهو خلاف الكذب، أو من الصدْق، حيث يُقال: رمحٌ صدْقٌ، أي صلب، وعلى الوجهين يكون الصديق صادقا؛ أي غير كاذب إذا تحدث، ويكون صدقا أي صلبا جادا إذا عمل.

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 21.

[2]/ المصدر نفسه، ص 29.

[3]/ المصدر نفسه، ص88.

وينطلق التوحيدي في بحثه عن علاقة الصداقة والصديق كعلاقة اجتماعية من عبارة أرسطو الشهيرة" الإنسان مدنيّ بطبعه" ذلك أن الإنسان الفرد –حسبه– لا يكاد يعيش إلا محاطا بكائنات تتبادل معه التعاون والوفاق من أجل الوصول إلى مبتغاهم في العيش الكريم والسعادة الحقيقية،[1] يقول التوحيدي في هذا الشأن: "**وبيان هذا أنّه لابدّ من الإعانة والاستعانة، لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهرٌ، وإن كان مدنيا بالطبع كما قيل فبالواجب ما يعرض من أضعاف ذلك من الأخذ، والعطاء والمجاورة والمحاورة، والمخالطة والمعاشرة...** ".[2]

ذكر التوحيدي تعاريف مختلفة للصداقة عبر خطابات كثيرة مختلف الموارد، فمنها الفلسفي ومنها الصوفي ومنها اللغوي، لكنه لم يقدّم تعريفا خاصا به للصداقة أو للصديق وإنما اعتمد على تعريف أرسطو الذي أجاب لما سئل عن معنى الصديق قائلا :"**إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك**"[3]، ومن جملة التعريفات التي أوردها التوحيدي للصديق في رسالته لغيره من الفلاسفة والعلماء نذكر:

- قال التوحيدي: "قيل لصوفي: من الصديق؟، قال: **من لم يجدك سواه، ولم يُفْقدْك من هواه**".[4]

- وقيل لثيفانون: من صديقك؟، قال: **الذي إذا صِرت إليه في حاجة وجدته أشدَّ مُسارعةً إلى قضائها منّي إلى طلبها**.[5]

فالصديق حسب ثيفانون هو الشخص الذي يُسارع إلى قضاء حاجة صديقه، وهو الذي تكون مُبادرته إلى قضاء الحوائج أكثر من طلب الحاجة.

- وفي تعريف آخر للعباداني: قال التوحيدي: "قُلت للعَباداني: من الصديق؟، قال: **من شَهِد طرفُهُ لك عن ضميره بالوفاء والود، فإن العين أنطق من اللسان، وأوقدُ من الميزان**".[6]

---

[1]/ ينظر: زاهد روسان، "**فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي**، ص104.

[2]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 161.

[3]/ المصدر نفسه، ص69.

[4]/ المصدر نفسه، ص90.

[5]/ المصدر نفسه، ص185.

[6]/ المصدر نفسه، ص187.

وفي هذا التعريف ركز العباداني على قيّمٍ أخرى للصداقة وهي الوفاء والمحبة، والصديق الحقيقي هو من يظهر الوفاء والمودة على عينيه قبل لسانه، فالعينان مرآة للقلب.

- كما قدّم بُرهان الصوفي تعريفا آخر للصديق مبني على شروطٍ للصداقة، فقال التوحيدي: "وقيل لبرهان الصوفي: من الصديق؟، قال: **يا هذا من بِضع نصفه معدوم عليك فاطلب من يسعُك بخلقه، ويؤنسك بنفسه، ويواسيك من قليله، إن رضي عنك لم يُغلظك، وإن سخِط عليك لم يمْقُتْك، يبدي لك خيرهُ لتقتدي به، ويواري عنك شره لئلا تستوحش منه، فأمّا من تكون مثال نفسه في كل حال تلون به الدهر، وهمّ صدره في كل أمر، يُقلب به الليل والنهار، يُقدّم حظّك على حظّه، ولا يُسارق النظر بلحظه، ولا يُغلظ القول بلفظه، ولا يتغير لك في غيبه، ولا يحول عمّا عهدته في شهادته يُعانق مصلحتك بالاهتمام، ويُثبت قدمك عند الإقدام والإحجام**". [1]

- كما سأل التوحيدي ابن البردي الأبهري قائلا: من الصديق؟، قال: "**من سلّم سِره لك، وزيّن ظاهره بك، وبذل ذات يده عند حاجتك، وعفّ عن ذات يدك عند حاجته، يراك مُنصفا وإن كُنت جائرا، ومُفضّلاً وإن كان مُمانعا، رضاه منُوطٌ برضاك، وهواه محطوط بهواك، وإن ضللت هداك، وإن ظمئت أرواك، وإن عجزت آداك[2]، يبين عنك بالجسم والرسم**".[3]

وحقيقة فالصديق هو من يُفصح لك بسره، ويُعينك عند الحاجة، ويرضى إذا رضيت، ويكون سندا معينا لك في مختلف الحوائج.

- قال التوحيدي: قال لآخر: "إنما سُميّ الصديق صديقا بصدقه لك، وسمي العدو عدوا لعَدْوِه[4]عليك لو ظفر بك".[5]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص232.

[2]/ آدى على فلان: أعداه وأعانه.

[3]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 245-246.

[4]/ عدا، يعدو عدوًا وعُدوانا عليه: وثب.

[5]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص272.

وهذا التفسير لتعريف الصديق مشابه للتعريف الذي ذكره السجستاني للفظ الصديق، فالصديق حسبهم لفظ مأخوذ من الصدق، وفي هذا القول تفسير للفظ العدو، فقد سُمي العدو عدوا لوثبه على الآخر لو أُتيحت له الفُرصة.

وعليه فالصداقة علاقة اجتماعية بين شخصين أو أكثر يملكون التأثير الإيجابي على بعضهم البعض، تقوم على المشاركة الوجدانية وعمادها الإخلاص وحب الخير للآخر ومساعدة كل منهما للآخر، وتتميز عن غيرها من العلاقات الاجتماعية بالاستمرارية والتجرد من المنفعة، تنشأ غالبا بين طرفين يمتلك كل منهما اهتمامات مشتركة، وميول متقاربة.

وهكذا إذن تكون الصداقة عن عملية تفاعل بين شخصين متماثلين في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات، وهذه المماثلة ثمرة ارتباط روحي، تشبه إلى حدٍ ما اتحاد ذاتين بين رجلين متصوفين.[1] وهنا يستشهد التوحيدي بتعريف أرسطو الذي يقول فيه: "**الصديق هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك**".[2]

2-شروط الصداقة ومعيقاتها عند التوحيدي

أ) شروطها

يشير التوحيدي إلى أنه هناك عدة عوامل مساعدة على قيام الصداقة واستمراريتها دون تفصيل، فيقول: "الدين أولاً ثم بالجوار ثانيا، ثم بالصناعة ثالثا، ثم بالممالحة رابعا، ثم بالمنشأ خامسا، ثم بالمعاقرة سادسا، ثم بالتجربة سابعا، ثم بالإلف ثامنا، ثم بالميلاد تاسعا، ثم بانتظام هذه كلها عاشرا".[3]

والملاحظ في النص التوحيدي يعطي الدين الدرجة الأولى؛ حيث أنه يذهب الغلظة والأنفة والتحاسد، ويجمع القلوب ويحض على التعاون والتناصر والتآلف، ثم تأتي بعد ذلك تباعا بقية العوامل الأخرى التي تدفع الأفراد إلى تكوين علاقة الصداقة: كالجوار في

---

[1]/ زاهد روسان، "فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي"، **مجلة كلية الإنسانيات العلوم الاجتماعية**، ع32، 200، ص103.

[2]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 69.

[3]/ المصدر نفسه، ص84.

السكن، والاشتراك في مهنة أو صناعة واحدة، أو بالممالحة وهي تبادل الطرف والملاحة...إلخ، وكلها في النهاية تؤدي إلى تكوين علاقات اجتماعية تهدف إلى سد وإشباع حاجات ومتطلبات الأفراد، أما الأهم فهو أن تشترك هذه العوامل كلها إذا ما أُريد لعلاقة الصداقة أن ترتقي إلى الأعلى وصولا إلى النموذج المثالي من العلاقات.[1]

وهناك شروط أخرى يضيفها التوحيدي، هي:

1) أن علاقة الصداقة تتطلب ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومساعدة طبيعية، ومواتاة خلقية، واتحاد هذه العناصر الأربعة يؤدي إلى إنشاء نوع من الثقة المتبادلة التي تخلق بدورها الطمأنينة والسكون.[2]

2) يشير التوحيدي إلى شرط آخر هو: التقارب في القدرات العقلية، ويراه ضروريا من أجل تكوين علاقة الصداقة.

3) الصداقة الحقيقية تقتضي المماثلة في الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات، وهذه المماثلة هي نتاج ارتباط روحي غير محدد بزمان أو مكان، وقد فسر السجستاني أستاذ التوحيدي الشرط السابق بقوله: "ألا ترى أن لهذه الموافقة أولا منه يبتدئانها، كذلك لها آخر ينتهيان إليه، وأول هذه الموافقة توحد وآخره وحدة، وكما أن الإنسان واحد بما هو إنسان، كذلك يصير بصديقه واحدا بما هو صديق، لأن العادتين تصيران عادة واحدة، والإرادتين تحولان إرادة واحدة، ولا عجب من هذا فقد أشار إلى الغريبة الشاعر بقوله :

روحه روحي، ورُوحِي روحُهُ*إنْ يَشَأْ شِئتُ وإنْ شِئتَ يشأ**[3]

4) إن اختلاف الناس في المشاغل العقلية والمهنية وغيرها لا يمنع من تكوين الصداقة؛ فهذا الاختلاف شكلي لا علاقة له بمضمون الصداقة، فهو خلاف الشكل للشكل، لا خلاف الضد للضد، فقد جمعت الصديقين المشاكلة على العلم وفرقهما الاختلاف بالفن.[4]

---

[1]/ ينظر: زاهد روسان، "**فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي**، ص106.

[2]/ ينظر: المرجع نفسه، ص107.

[3]/ التوحيدي، الصداقة والصديق، ص69.

[4]/ المصدر نفسه، ص31.

كما يشدد التوحيدي في مواضع أخرى من رسالته على ألا علاقة للصداقة بالمظاهر الخارجية كالشكل والصورة والخلقة.

5) إذا توفرت شروط ملائمة للصداقة فبإمكانها أن تسمو فوق المادة وتكتسب مع الزمن صفاء روحانيا وانسجاما عميقا هما مصدر الفرح والغبطة والبهجة في حياة الأصدقاء، وقد عبر عدّها التوحيدي كالتالي: "كرم العهد وبذل المال وتقديم الوفاء وحفظ الذمام، وإخلاص المودة ورعاية الغيب، وتوقّر الشهادة، ورفض الموجدة وكظم الغيظ، واستعمال الحلم ومجانبة الخلاف، واحتمال الكُل، وبذل المعونة، وحمل المؤونة، وطلاقة الوجه، ولطف اللسان، وحسن الاستنابة، والثبات على الثقة، والصبر على الضراء، والمشاركة في البأساء".[1]

ب) معيقاتها

بعد تأكيد التوحيدي على شروط الصداقة ومقاييسها، يلفت انتباهنا في رسالته أنه هناك معوقات تحول دون تحقيق علاقة الصداقة ينبغي تجنبها وتحاشيها، ومن هذه المعوقات يذكر التوحيدي الحسد في قوله: "الصداقة بالدين أولا... فليس إلى الحاسد لنا سبيل"[2] ، وما قيل هذا القول إلا تخوفا من تسرب الحسد بين طرفي العلاقة وقضائه عليها.

والحسد حقيقة من معوقات الصداقة، ودليل ذلك ما ذكره أبو سليمان في قوله: "**ثم... أنتم على غاية الافتراق للحسد الذي يدب بينكم، والتنافس الذي يقطع علائقكم**".[3] ذلك أن **الحسد** "آلام الطبع"[4] حسب قول أبن السماك الواعظ الذي أورده التوحيدي في رسالته، وهو يزرع الخلاف بين الناس لأن الحسود لا يحب لأحد خيرا ويجتهد في الإضرار بهم وبنفسه كي يلحقهم بذلك مكروه، والحسد يدب خاصة بين الأقربين، قال ابن السماك: "الحسد آلام الطِباع ومن ثمّ وُكِل بالأقرب فالأقرب".[5]

---

[1]/ ينظر: زاهد روسان، "**فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي**، ص110-111.

[2]/ ينظر: التوحيدي، **الصداقة والصديق**، 84.

[3]/ المصدر نفسه، ص69.

[4]/ المصدر نفسه، ص296.

[5]/ المصدر نفسه، ص296.

وليس الحسد وحده يهدم العلاقات، فالمكر يقضي على العلاقة، ويؤدي إلى تغير حال الصديق فيعاملك هو الآخر بالغدر، وذكر التوحيدي على لسان فيلسوف: "من عاشر الإخوان بالمكر، كافأوه بالغدر".[1]

كما سأل التوحيدي أبا سليمان: "لم صار التنافس والتعادي في ذوي القربى أكثر وأشد..."، فأجابه بأن الحسد والغيرة والتنافس هي التي تحفز الإنسان أن يُسيطر وحده على مختلف متاع الحياة، ويهمل بذلك العلاقات والروابط[2].

كما أن الشحناء والتباغض والعداوة والنفاق والرياء، والغيرة والتنافس الذي يُخالطه نوع من التعصب والمكابرة، واختلاف الطبائع الإنسانية وغيرها كثير... من شأنها أن تخلق نُفورا اجتماعيا وبالتالي تفككا وانحدارا في القيم الاجتماعية والخلقية والنفسية.

3-نظرة التوحيدي التشاؤمية للصداقة

إذا كانت فلسفة كل فيلسوف هي في جانب منها ثمرة لما مرّ بصاحبها من أزمات، أو صدى لما عاناه من خبرات، فليس بدعا أن نرى التوحيدي أميل إلى مذهب اليأس منه إلى مذهب الأمل، والواقع أن هذا الرجل ذاق مرارة الحرمان، وكابد ذل الفقر، وعانى ويلات الغربة، لم يستطع أن يكتم سخطه على الناس، وتمرده على القدر، وضيقه بالحياة، لكن التوحيدي لم يكن في الأصل صاحب مزاج سوداوي، أو شخصية مكتئبة تميل إلى العزلة، وإنما كان مُحبا للحياة مُقبلا عليها، مُخالطا للناس ميالا إلى صحبتهم، ولكن الظاهر أن الفشل الذي اصطدم به في حياته والوحشة التي آب بها من كل صلاته، إنّما هما السر في يأسه من الحياة وسوء ظنه بالناس[3]، ولعل هذا ما عبر عنه أبو حيان حينما كتب في مؤلفه "الصداقة والصديق" قائلا: "**لقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق، مستأنسا بالوحشة، قانعا بالوحدة، معتادا للصمت، ملازما للحيرة،**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص47.

[2]/ المصدر نفسه، 125.

[3]/ زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، ص224.

متحملا للأذى يائسا من جميع من ترى".[1] وهذه الكلمات السابقة تدل على الحالة التي وصل إليها التوحيدي، والشعور السيء الذي حاصره من كل جانب.

ومما سبق يمكن القول أن التوحيدي كان أميل إلى فلسفة التشاؤم منه إلى فلسفة التفاؤل، نتيجة لما قاساه من الحرمان وكابده من مرارة الغربة وذل الفقر، وما عاناه من الإخفاق المتكرّر في كل مساعيه ولم يكن في الأصل صاحب مزاج سوداوي يغلب عليه الحزن والانقباض وإنما كان محبًّا للحياة مقبلًا عليها، وهو يدرك ذاك تمامًا ويقرّر أن من شقّ أمله شقّ عمله، ومن اشتدّ إلحاحه توالى غدوه ورواحه، ومن أسره رجاؤه طال عناؤه وعظم بلاؤه، ومن التهب طمعه وحرصه ظهر عجزه ونقصه.

ولم يكن السبب في شعور التوحيدي بالغربة هو مجرد حرمانه من النسل، وإنما كان السبب في ذلك عجزه عن التكيف مع مجتمعه، ولقد اعترف أبو حيان بأنه ظل طوال حياته لا يجد إلى جواره ولدا نجيبا، وصديقا حبيبا، وصاحبا قريبا، وتابعا أديبا ورئيسا منيبا، ولكن هذه الوحدة النفسية هي التي فرضتها عليه ظروف حياته، لم تكن هي السبب الأصلي في شعوره بالقلق والحيرة والوحشة والتمزق الداخلي، بل كان يعاني مرارة الوحشة في صميم وطنه، ولم يكن منشأ هذا الإحساس بالغربة هو غياب الحبيب أو جفاء الصديق أو نذرة الأهل، وإنما كان الأصل فيه شعوره بالعجز عن تحقيق أي ضرب من ضروب التواصل مع الناس وإحساسه بالوحدة حتى في صميم حياته الاجتماعية، وفشله في التغلب على وساوس الوحشة والتفرد والاغتراب، وقد روى ياقوت الحموي في ترجمته للتوحيدي أنه أنس بالوحدة وقنع بالوحشة، واعتاد الصمت ولزم الحيرة واحتمل الأذى ويئس من جميع الخلق وانتحل الرياضة قناعة، وبالعودة إلى معظم ما وصل إلينا من كتب أبي حيان التوحيدي، نجده كثير الشكوى من الحياة والناس، فهو يشكو في مقدمة رسالته المسماة باسم الصداقة والصديق عن خيبة أمله في الناس.[2]

وهكذا نرى أن أبا حيان قد وضع بين أيدينا من القرائن والدلائل ما يُبرز ضيقه بالحياة، وسخطه على الناس، وتشاؤمه من الوجود، فهو يحدثنا أولا عن تعانق الحياة والموت، وهو ينقل لنا أخبار أناس كثيرين عافوا الحياة وأقدموا على الانتحار، ثم هو

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص19.

[2]/ ينظر: زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، ص225-226.

يكشف لنا ثانيا عن قصور الإنسان ونقص علمه وضعف أخلاقه وقصر باعه...ثم هو يتعرض ثالثا لمشكلة الشر فيبين لنا أن إحساس الإنسان بالألم أقوى من إحساسه باللذة، وأن الشرير يؤثر في الخيّر أسرع مما يؤثر الخيّر في الشرير وأن الشر مُقبل والخير مدبر... وأخيرا نراه يتحدث عما في الوجود من شرور وأخيرا نراه يتحدث عما في الوجود من شرور لا يبررها العقل ولا يسيغها المنطق، ومما سبق نلمح في رسائل التوحيدي روحا قلقة، ونستنتج من هنا وهناك أن فلسفة التشاؤم كانت صدى لتجاربه وخبراته، وليس بدعا أن نراها تتلون بمزاجه الخاص.[1]

ونلحظ في رسالة الصداقة والصديق تضارب رؤيتين على طول امتداد الرسالة، الأولى تنفي وجود الصداقة والصديق، نأخذ على سبيل المثال القول: " **ينبغي أن نثق بأنه لا صديق، ولا من يتشبه بالصديق**".[2] ، أما الرؤية الثانية تعترف بوجود الصديق وتثني عليه وعلى أخلاق، وتقرّ بضرورة اتخاد الخلان والوفاء لهم خصوصا إذا تحققت شروطها وتوفرت حقوقها، و النزعة التشاؤمية من الصداقة برزت واضحة في مؤلف التوحيدي بتوظيفه لشواهد تنفي وجود الصداقة أو تُقلل من قيمتها، كما ظهرت في مقدمة مؤلفه وخاتمته.

تظهر عند التوحيدي نظرة سوداوية ومسحة تشاؤمية ليس فيها أمل أو رجاء من الصداقة، ويقول التوحيدي في نبذ الصداقة وغيرها: "**وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة، والألفة، والأخوة، والمودة، والرعاية، والمحافظة قد نُبذت نبذا، ورُفضت رفضا، ووُطئت بالأقدام، ولويت دونها الشفاه، وصُرفت عنها الرغبات**".[3]

لقد انعكست المسحة التشاؤمية للتوحيدي على الكتاب وخاصة في المقدمة التي تظهر عليها سمة تشاؤمية صادرة عن روح التوحيدي الكئيبة، وكان في مقدمة الصداقة والصديق من العجب والبديع، إذ جاء فيها رسالته عبارة تدل على الحالة التي عاشها التوحيدي وألف بها رسالته، حيث يقول: "**ومن العجب والبديع انّا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق، والأسف، والحسرة، والغيظ، والكمد، والومد**"..."**فقد أمسيت**

---

[1]/ زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، ص225-226.

[2]/ المصدر نفسه، ص36.

[3]/ المصدر نفسه، ص66.

غريب الحال، غريب اللفظ... ".[1] وقد أورد التوحيدي عبارة أخرى عبر فيها عن مركب النقص الذي يخفي تحته عجزه وإخفاقه في الحصول على طِمرين[2] للستر لا للتجمل، معبرا بذلك عن تبرمه بالناس واحتقاره لهم[3]: "والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي، فأن اتفق فبقّال أو عصّار أو ندّاف أو قصّاب، ومن إذا وقف بجانبه أسدرني بصُنانه وأسكرني بنتنه".[4]

فالتوحيدي قضى حياته بحثا عن صديق مخلص، وهذا ما جعله يُبادر إلى إنكار مفهوم الصداقة المثالي الذي وضعه أرسطو في قوله: «الصديق هو أنت إلَّا أنه بالشخص غيرك»، وهناك مقاطع كثيرة تشير إلى نظرة التوحيدي المتشائم، اليائس من الناس للصداقة في إطارها المثالي، واجدا بينه وبين جميل بن مرة شبها في السلوك والمصير، فالتوحيدي يقول في مقدمة كتابه: «**وقبل كل شيء ينبغي أن نثق أنه لا صديق إلَّا من يشبه الصديق**»[5]، ثم يُورد بعد ذلك «جميل بن مرة» الذي لزم بيته ورفض المجالس واعتزل العامة والخاصة، ولما عُوتب عن ذلك احتجَّ بقوله: « لقد صحبت الناس أربعين عامًا فما رأيتهم غفروا لي ذنبًا، ولا سترو لي عيبًا، ولا أقالوا لي عثرة، ولا رحموا لي عبرة، ولا قبلوا منّي معذرة، ولا فكوني من أسرة، ولا جبروا مني كسرةً، ولا بذلوا لي نصرةً، ورأيت الشغل بهم تضييعًا للحياة، وتباعدًا من الله، وتجرّعًا للغيظ مع الساعات، وتسليطًا للهوى في الهنات بعد الهنات، ولذلك قال الثوري لرجل قال له: أوصني، قال: **أنكر من تعرفه**».[6]

ثم إن التوحيدي يبدأ كتابه بقوله: "وقبل كل شيء ينبغي أن تثق بأنه لا صديق ولا من يشبّه بالصديق"، وأغلب الظن أن انعدام ثقة التوحيدي بالناس هو الذي أملى عليه هذه الحملة العنيفة على الصداقة والأصدقاء، خصوصا وأنه قد أتم تأليف رسالته هذه في الدور الأخير من حياته حين كان يعاني آلام الغربة والفقر ومتاعب الشيخوخة ، ولا غرو فقد

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 19.

[2]/ طِمر: الثوب الخلق البالي، والجمع أطمار.

[3]/ ينظر: التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص19.

[4]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]/ المصدر نفسه، ص36.

[6]/ ينظر: المصدر نفسه، ص20.

عانى أبو حيان التوحيدي الكثير من جراء عجزه عن التجانس مع أهل عصره، حتى لقد انتهى به الأمر إلى الكفر بالصداقة، والحكم عليها بأنها لفظ أجوف خلو من كل معنى. [1]

وعليه فالتوحيدي لا يُؤمن بالصداقة، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى تجاربه الخاصة والحياة البائسة التي عاشها، ففي مقدمة الكتاب–كما ذكرنا سابقا– أراد أن يلفت الأنظار إلى ما وصل إليه من يأس تامٍّ وزهد في كل شيء؛ وقد حاولت فيما يأتي رصد بعض الشواهد التي أوردها التوحيدي والتي تتجلى فيها النزعة التشاؤمية والنظرة السوداوية من الصداقة:

- وأول شاهد اخترته قول الفيلسوف الذي أورده التوحيدي ليظهر به صعوبة الحصول على صديق وأنها مهمة شاقة وسفر طويل: "قيل لفيلسوف: من أطول الناس سفرا؟ قال: من سافر في طلب صديق".[2]

- ومن نماذج انتهاء العلاقة وانقضاء الصداقة الأبيات الشعرية التي ردّ بها الصولي على محمد بن عبد الملك بن محمد الزيات لما أراد استعطافه وإصلاح العلاقة بينهما:

وكُنت أخي في رخاء الزمان***فلما نبا صرت حربا عوانا

وكُنتُ أذم إليك الزمان*فأصبحتُ منكَ أذمُّ الزمانا**

وكنت أعدُّك للنائبا*ت فها أنا أطلب منك الأمان**[3]

ونستنتج من الأبيات السابقة التي أوردها التوحيدي في رسالته حقا أن علاقة الصداقة ليست علاقة دائمة وأبدية، وإنما تشوبها شوائب قد تؤذي إلى فكها وانحلالها.

- قيل لأعرابي: كيف أُنسُك بالصديق؟، قال: وأين الصديق؟ بل وأين الشبيه؟ بل أين الشبيه بالشبيه؟ والله ما يوقد نار الضغائن والذُّحُول[4] في الحيّ إلا الذين يدّعون الصداقة، وينتحلون النصيحة، وهم أعداء في مُسوُك[5] الأصدقاء، وما أحسن ما قال:

إذا امتحن الدّنيا لبيبٌ تكشفت*له عن عدوٍّ في ثياب صديق**[6]

---

[1]/ زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، ص105.

[2]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص68.

[3]/يُنظر: المصدر نفسه، ص91.

[4]/ الذحول: مفردها ذحْل: الثأر، وقيل العداوة والحقد.

[5]/ مسوك: مفردها مَسْك: الجلد وخصّ به بعضهم جلد السخلة.

[6]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص93.

وحسب هذا الأعرابي فإن من يدعي الصداقة هو من يُضمر السوء وهو العدو الحقيقي، وقد دعّم رأيه ببيت شعري مفاده أن الشخص العاقل إذا ما امتحن الدنيا فسيظهر له عدو كان يدّعي الصداقة.

- ومقاربا للمعنى السابق قول سويد الصّامت:

ألا رُبّ منْ تدعو صديقا ولو ترى*مقالتهُ بالغيب ساءَك ما يفري**[1]

مقالته كالشهد ما كان شاهدا*وبالغيب صابٌ مستفيض من الثغر**[2]

فالشاعر يُقرّ أن من تحسبه صديقا سيدهشك كلامه في غيابك وكذبه عليك، فكلامه كالعسل إن كان حاضرا، أمّا إن غِبْت عنه فسيخرج كلاما من فمه كالسمّ.

- وعن إخوان السوء قال فيلسوف:

إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويُقبلون مع النعمة، ومن شأنهم التوسل بالإخلاص والمحبة إلى أن يظفروا بالأنس والأمن والثقة، ثم يُوكّلون الأعين بالأفعال، والأسماع بالأقوال، فأن رأوا خيرا ونالوه لم يذكروه ولم يشكروه، وإن رأوا شرا أذاعوه ونشروه، فأن أدمت مواصلتهم فهو الداء المُعْضِل.[3]

- وفيما يلي قول الشاعر عن المراء والخديعة:

كمْ من صديقٍ لنا أيام دولتنا*قد كان يمدحُنا فصار يهجونا**[4]

والشاعر يُعبر عن استيائه من الصداقة التي تُبنى على المصلحة والتي سرعان ما تنقضي وينقلب حال صاحبها من المدح والإعجاب إلى الهجاء والهجر.

- ومشابها للسياق السابق قول الشاعر:

الأخِلاءُ في الرخاءِ كثيرٌ*لكنْ إذا ما بَلَوتَ كانوا قليلا**[5]

- ثم يبدي التوحيدي يأسه من الناس ومن الصداقة، وأن كل من يظهر لك بثوب حسن فهو عند التعامل واللقاء ستنكشف حقيقته وتظهر مرارته، قال شاعر:

لم يبْقَ في النّاس حُرّ*ولا صديقٌ يَسِرّ**

---

[1]/ الفريك الكذب والاختلاق.

[2]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص98.

[3]/ المصدر نفسه، ص184

[4]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص253.

[5]/ المصدر نفسه، ص269.

وكل من ترتضيه*عند المَذاقة مرُّ**[1]

- وعن إخوان السوء وأصدقاء المصلحة قال التوحيدي ما يبدي لنا نفيه لعلاقة الصداقة، قال: "إخوان السوء يتفرقون عند النكبة، ويُقبلون مع النعمة، ومن شأنهم التوصُّل بالإخلاص والمحبة إلى أن يظفروا بالأنس والثقة، ثم يوكّلون الأعيّن بالأفعال، والأسماع بالأقوال، فإن رأوا خيرًا ستروه وإن رأوا شرا أو ظنوه أذاعوه ونشروه".[2]

وعليه فقد نفى التوحيدي وجود الصديق في واقعه الاجتماعي، نتيجة لمختلف الظروف التي تكبدها بسبب هجران الأصدقاء وانصرافهم عنه لأسباب كثيرة إلى حد وصل إلى حال فقد فيها الأمل من وجود صديق حقيقي.

4-متفرقات من رسالة الصداقة والصديق

وفيما يلي سنعرض آراء أخرى أوردها أبو حيان التوحيدي في رسالته "الصداقة والصديق":

يعبر أبو حيان عن اقتناعه بقيمة الصداقة فيشير إلى أنها قد تسمو على القرابة وهنا يستشهد بإجابة ابن المقفع عن سؤال وجه إليه ونصه :**هل الصديق أحب إليك أم القريب؟ فأجاب: "القريب أيضا يحب أن يكون صديقا".**[3]

يقول التوحيدي على لسان أبي سليمان السجستاني: " **الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة، وصاحبها من صاحبه في غرور، والزلة فيها غير مأمونة، وكسرها غير مجبور**".[4]

ومن هنا يستبعد التوحيدي صداقة الملوك لأنها قائمة على القهر والهوى، فهو يقول: "**فأما الملوك فقد جلّوا عن الصداقة، ولذلك لا تصح لهم أحكامها، ولا توفي بعهودها، وإنما أمورهم جارية على القدرة، والقهر، والهوى، والشائق، والاستجلاء، والاستخفاف، وأما خدمهم وأولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم، ونهاية المشاكلة لهم**".[5]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص266

[2]/ المصدر نفسه، ص272.

[3]/ ينظر: المصدر نفسه، ص45.

[4]/ المصدر نفسه، ص 32.

[5]/ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويذكر أن من حق الصديق على صديقه القيام بأعبائه في غيابه، وحفظه ومعاونته عند حضوره وملاطفته إذا جفا، ومكافأته إذا وفق في عمل، والحديث عنه الحديث الطيب مع الأصدقاء الآخرين، ودفع الظلم عنه، والابتهاج لرؤيته، والحفاظ على سره، وعدم تصديق ما يقال عنه، ومعاتبته إذا وقع خلاف معه بدلا من قطع الصلة به نهائيا، ثم ينتقل أبو حيان ليفرق بين الصداقة الطيبة وصداقة السوء، فيذكر أن صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كما يميز بينهما في سرعة الاتصال والانقطاع . ويوضح أبو حيان أن العتاب ضروري بين الصديقين إذا وقع خلاف بينهما .ولكن بدرجة معتدلة ذلك أن "**كثرة العتاب إلحاف وتركه استخفاف**"، فالإسراف فيه يعد إلحاحا، أما صرف النظر عنه فيعد استهانة وتجاهلا للصديق.[1]

ويفرق أبو حيان بعد هذا بين نمطين من الأصدقاء؛ النمط الأول: هو الصديق الذي يحسن الكلام ولا يحسن العمل نحو صديقه، والنمط الثاني: هو النمط الذي يحسن العمل وقد لا يحسن الكلام، يقول في هذا الصدد مستشهدا بأحد العلماء: " **أدركت أقواما كتان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهرا أو شهرين، فإذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف الحال؟ ولو سأله شطر مال لأعطاه، ثم أدركت أقواما لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوما سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمنعه** "[2] .

ويلتفت أبو حيان إلى الآثار طويلة المدى للصداقة، فيشير إلى أن دوام الصداقة والمساعدة وتبادل الثقة يؤدي إلى التشابه في الاختيارات والغايات، رغم تعارض أعمال وتبعات الصديق في الحياة، حتى تصير عادة كل منهما إلى عادة واحدة، وتتحول الإرادتان إلى إرادة واحدة، وفي هذا المستوى يكون التفاهم بينهما أسرع وأوضح ما يكون، حتى يكفيهما التعبير عن العتاب بلمحة أو إشارة أو كناية لا يفهمها غيرهما.

وحسب التوحيدي ليس بالضرورة أن تؤدي مخالطة الناس ومعاشرتهم إلى تكوين علاقات صداقة؛ فقد تظهر علاقات سلبية كالعداوة، النفاق، الإيذاء...، كما يشير التوحيدي إلى ضرورة التكيف مع الآخرين والتلاؤم معهم حتى وإن كانوا متباينين في أخلاقهم وقيمهم لأن في ذلك فائدة له، يقول في هذا الصدد: "**ثم بالضرورة يجب عليه أن يقابل كل**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص54-55.

[2]/ المصدر نفسه، ص98.

واحدٍ منهم بما يكون له مرد من دين أو عقل...ويستفيد هو من ذلك كله ما يكون خاصا به، وعائداً بحسن العقبى عليه إما في العاجل وإما في الآجل ".[1]

ولا تنحصر قيمة هذه الرسالة فيما احتوت عليه من حكم عربية وأجنبية في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والوفاء والوفاق والخلاف فحسب، وإنما تتجلى قيمتها بصفة خاصة فيما انطوت عليه من تفريقات لفظية دقيقة بين بعض الألفاظ المتشابهة التي شاع استعمالها كمترادفات.[2]

وسنعرض نموذجا من هذه التفريقات مأخوذا من كتاب **الصداقة والصديق**، ويتمثل في المقارنة التي عقدها أبو حيان بين العشق والصداقة، إذ يرى أن الصداقة تقوم على التشابه وتلاقي الأخلاق بينما لا يلاحظ وجود تشابه بين العشاق، "ويرجح أن الأنس بالصديق أقوى من الأنس بالعشيق"،[3] لأن الصديق يصلح لكل الأحوال في الجد والهزل والقليل والكثير، وهو متعة للعقل والروح معا .أما العشيق فإنه متعة، ولكنها متعة محفوفة بالشك والريب، كما يؤدي التعلق بالمعشوق إلى إثارة مشاعر الشجن والحزن، وفي معظم الأحوال لا تدوم العلاقة بين العاشق والمعشوق.[4]

أما المِراء فهو "يُفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة"[5]، وأورد التوحيدي قولا لابن أبي ليلى عن المِراء مفاده: "لا أماري صديقي فإمّا أن أكذبه وإما أن أُغضبه"[6].والنميمة تثير الشِقاق بين الناس، وأما المزاح وفلتاته فهو مفتاح الضغائن.[7]

تلك هي خلاصة أفكار التوحيدي في موضوع الصداقة ولعل عبارة: "كأني هو فيها أو هو أنا"، وعبارة "الصديق هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك"، تحددان النظرة المثالية للصداقة عند التوحيدي وأمثاله من مفكري وعلماء القرن الرابع الهجري.[8]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص112.

[2]/ زكرياء إبراهيم، **أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، ص102-103.

[3]/ أبوحيان التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص52.

[4]/ ينظر: المصدر نفسه، ص119.

[5]/ ينظر: المصدر نفسه، ص62.

[6]/ المصدر نفسه، ص59.

[7]/ ينظر: زاهد روسان، "**فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي**، ص110.

[8]/ التوحيدي، الصداقة والصديق، ص24.

المبحث الرابع: مصادر رسالة الصداقة والصديق

تحمل رسالة "الصداقة والصديق" التي أبدعها أبو حيّان التوحيدي بين طياتها الكثير من الآيات والأحاديث الأشعار والأقوال والأخبار والرسائل؛ وسنحاول في هذا المبحث استخراج بعض الشواهد من الرسالة.

1-القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

يعتبر القرآن الكريم أصح وأفصح وأبلغ كلام عربي سمعته وعرفته العرب، وهو كلام الله المنزه عن الخطأ المعجز ببيانه وبلاغته، وقد ظهر أثر القرآن الكريم في كل شأن من شؤون العرب المسلمين ولا عجب أن يكون قد أثر في لغتهم وأدبهم تأثيرا بيّناً، فحضر النص القرآني حضورا قويا في نتاجات الأدباء والشعراء وكان ملهما لهم يستخدمون لغته.

لقد شكل القرآن الكريم موردا من موارد الاستشهاد في مختلف مؤلفات أبي حيان التوحيدي، وقد تطلب هذا منه ملكة وقدرة كبيرة من أجل سوق الشاهد القرآني في السياق المناسب في مختلف مؤلفاته ومنها رسالته في الصداقة التي حملت عنوان "**الصداقة والصديق**"، إذ استشهد التوحيدي في عديد من المواضع بآيات قرآنية وكلن يوردها في أغلب الأحيان ضمن قول له أو لغيره بعرض التأثير في القارئ، فالقارئ يستأنس بالقرآن الكريم ويسمو به إلى مرتبة الإقناع، كيف لا وهو الكلام المعجز المنزه عن الخطأ، ويلاحظ على التوحيدي أنه كان يستشهد بالآية القرآنية دون ذكر السورة أو رقم الآية، بيد أن الكيلاني وبعد تحقيقه للرسالة قد أوردهما في أسفل الصفحة، وسنعرض فيما يلي آيات قرآنية أوردها التوحيدي:

- فعن الصديق الحميم وفي حاجة الناس إلى الإخوان يقول: "قال بعض السلف: عليك بالإخوان"،[1] ألم تسمع قوله تعالى: **{فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}**.[2]

بعد الوقوف على معنى الآية نجده تصويرا لحال أهل النار الضالين أخيرا أن لا أحد يشفع لهم عند الله فيخلصهم من العذاب، ولا أحد يصدق في مودتهم ويشفق عليهم.

[1]/ التوحيدي، الصداقة والصديق، ص48.

[2]/ سورة الشعراء، الآيتين 100-101.

- كما أورد التوحيدي قولا لأبي سعيد السيرافي مدعما بآية قرآنية، إذ قال التوحيدي: سمعت أبا سعيد السيرافي يقول في تفسير هذين الحرفين أي كان لا يشغب ولا يلج: "قيل في نبزهم الشراة[1] أنهم إنما نبزوا بهذا للجاجهم في دينهم، كما قيل أيضا: إنما نُبزوا بهذا الاسم لأنهم باعوا أنسهم لما سمعوا الله تعالى يقول: **{إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وأمْوالَهُمْ بأن لَهُم الجَنّة}**".[2]

- وفي طلب الخلة وضرورة بحث الانسان عن أخ له يجعله عدة في الدنيا يستحضر قول رجل بمكة كان اسمه ابن الجلاء في قوله: "اطلبوا خلة الناس –يقصد الصداقة والأخوة– في هذه الدنيا بالتقوى تنفعكم في الدار الآخرة"، ثم يرفد قوله بقول الله تعالى: **{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}**.[3]

فالأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة.

-كما أورد التوحيدي قولا للأوزاعي وهذا القول يتضمن آية قرآنية، فعن عبدة بن أبي لبابة قال: "إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسّم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت[4] كما يتحات ورق الشجر، فقلت إنّ هذا ليسيرٌ، فقال: لا تقل كذلك"[5] فإن الله يقول:**{ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم }**.[6]

ذلك أن الله تعالى أخبر نبيه الكريم أنّه أنزل عليه نصره وقوّاه بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار وجمع بين قلوبهم بالإيمان بعد التفرق وبعد ما كان بينهم من العداوة، ولو أنفق مال الدنيا على جمع قلوبهم ما تحقق ذلك.

---

[1]/ فرقة من الخوارج.

[2]/ سورة التوبة، الآية111.

3/ سورة الزخرف، الآية 67.

4/ حتّ الورق من الشجرة حتا: سقط. تحات تحاتا وانحت انحتاتا مطاوع حتّ، يُقال: حتّ الشجر فتحات أو انحت، وتحات الورق من الغصن: تناثر.

5/ التوحيدي، الصداقة والصداقة، ص 201.

6/ سورة الأنفال، الآية 63.

- وذات السياق السابق-تقريبا- هو ما استدعى **قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**،[1] أي أن الناس إخوة بدين الإسلام، وقد وردت هذه الآية في ثنايا قول التوحيدي: "وكنت أعلمتني انك استحسنت منّي البيتين في ذكر العدو والصديق وهما:

إن كُنتَ تطلبُ فضلا * **إذا ذكرت ومجدًا**

فكُنْ لعبْدكَ خِلاً ***وكُنْ لِخِلِكَ عبداً**

وكان سببهما أن صديقا لي ضرب عبداً فحضره صديقٌ له فمنعه الصديق فلم يمتنع، فكتبت له بهذين البيتين أُذكره بحق الصديق في عبودية الطاعة، وأخوه العبد في حق الإيمان".[2]

وقد استشهد لهذا القول وللبيتين الشعريين بالآية المذكورة سابقا التي تنص على التآخي في الإسلام.

- وروي التوحيدي قولا لابن سمعون الصوفي جاء فيه: "ما يقف البشر على بعد غور قول الله تعالى لكليمه: "**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ محبّةً منّي ولِتُصنَعَ على عَيْني**"[3]، فإن في هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهُه،[4] ولا يُنال آخره، ولو أن أرقّ الناس لسانا، وألطفهم بيانا أراد أن يتوسط حقيقة هذا القول عاد حسيرا، ونكس بهيرا[5]، وبقي عاجزا، ثم قال: اللهمّ حبّب بعضنا إلى بعض ".[6]

والآية التي أوردها ابن سمعون الصوفي-الزاهد الواعظ (ت387ه)- خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام فبعدما أوحى إلى أمه أن تضعه في التابوت بعد ولادته وتطرحه في النيل، أخبر سبحانه وتعالى بأنّه ألقى محبة منه عليه قصار بذلك محبوبا بين بين العباد، وأنه سيربى على عينه وفي حفظه سبحانه وتعالى.

- وفي سياق آخر، قال التوحيدي: قال أبو سعيد السيرافي فيما سمعته منه: الصديق يكون واحدا وجمعا ومذكرا ومؤنثا، قال المرواني: هذا والله من شرف الصديق، قلت: ما

1/ سورة الحجرات، الآية 10.

2/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص312.

3/ سورة طه، الآية 39.

4/ الكنه: جوهر الشيء وقدره ووجهه وحقيقته وغايته، تقول: "عرفت كنه المعرفة".

5/ مبهورا، بُهِر: عدا حتى غلبه البُهر وهو تتابع النفس وانقطاعه من شدة الإعياء.

6/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 212.

نزيغ بهذا، قال: أما ترى هذا المثال كيف عمّ الأشياء المختلفة حتى تكون صورة الصديق محفوظة فيها وملحوظة منها،[1] ولذلك قال الله تعالى: {**أَوْ صَدِيقِكُمْ**}.[2]

أخرج الله سبحانه وتعالى الكلمة-الصديق- مخرج الواحد المفرد وأراد بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.[3]

وهكذا نثر أبو حيان التوحيدي الآيات الكريمة كالدر في بعض الصفحات، ووشح بها كتاباته كاللؤلؤ في مختلف الموضوعات، فكانت بذلك شاهدا وبرهانا على تأثره بالقرآن الكريم وحرصه على استحضاره والاستشهاد به في مختلف الموضوعات التي تخص الصداقة لا وبل في مؤلفاته الأخرى؟

ولم يكن القرآن الكريم وحده مصدر القيمة التي تمتع بها الأدب وإنما جاءت بعده الأحاديث الشريفة والخطب ومختلف أقوال الصحابة والتابعين، وقد عني المسلمون بالأحاديث النبوية في جميع العصور فاهتموا بروايتها وحفظها وكتابتها وتدوينها ثم الاستشهاد بها، إذ جاءت مختلف الآثار النثرية متأثرة بالحديث النبوي الشريف ذلك أنه يمتاز بفضاحة اللهجة وبلاغة الحجة وصدق القول وإيجاز العبارة والصدور من غير تكلف ولا تصنع، وهو يعتبر من جوامع الكلم، تأثر به الأدباء والشعراء وصاروا يقتبسون منه.

فالتوحيدي وعلى غرار غيره من الأدباء استشهد بالحديث النبوي الشريف في العديد من مؤلفاته وعلى رأسها رسالته في الصداقة، وهكذا يكون قد اعتمد في تدوين رسالته على مورد ثان بعد آيات القرآن الكريم هو الحديث النبوي الشريف، إذ أخذ التوحيدي من الأحاديث الشريفة ما يُفيد موضوعاته على اختلافها وتنوعها، وغالبا ما كان يدعم أقوال الصحابة والأدباء والفلاسفة بالأحاديث النبوية دون ذكر مصدر الحديث، وفيما يلي بعض الأحاديث التي استشهد بها:

---

[1]/ التوحيدي، الصداقة والصديق، ص 255.

[2]/ سورة النور، الآية 61.

[3]/ ينظر: التوحيدي، الصداقة والصديق، ص255.

- يقول التوحيدي في رسالته: "وروي عن النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل تمرا ومعه جليس له، فكان النبي إذا رأى حشفة عزلها، فقال جليسه: يا رسول الله أعطني الحشفة حتى آكلها قال: **لا أرضى لجليسي إلا ما أرضاه لنفسي**"[1].

وهذا الخطاب أورده التوحيدي تحت عنوان هامشي "خلق كريم"، ليبين خلق النبي صلى الله عليه وسلم مع الجليس أو الصديق.

- أورد التوحيدي ذكرا صريحا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "**مداراة الناس صدقة**"،[2] وسبق الحديث قول للزهيري: اعلم أن المُداراة مطية وطيئة، وروضة موبقة، ما لبس أحد ثوبها إلا وجده فضفاضا، وتلا الحديث قول العرب: من لم يدار عيشه ضل.

- وفي حديث آخر: "**ذُكر عند النبي صلى الله عليه وآله رجلٌ كان يألفه قبل أن بعثه الله نبيا يُقال له أبو السائب فقال: "نعم الصاحب كان أبو السائب، كان لا يُماري[3] ولا يُشاري[4]**".[5]

فالنبي صلى الله عليه وسلم عدّ رجُلا يُقال له أبو السائب من خيرة الأصدقاء ونعم الأصحاب، وقد علل صلى الله عليه وسلم هذا التفضيل بكون هذا الصاحب لايجادل ولا ينازع في القول.

- وعن مجاراة القلوب ذكر التوحيدي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إذا أحبّ أحدكم أخا فليُعلِمْه حتى يُحبه فإن القلوب تتجارى[6]** ".[7]

رغم أن التوحيدي أورد الحديث دون مصدر ومن غير شرح، إلا أنه يبدو أن المعنى المقصود هو ضرورة إعلام الآخر بالمحبة حتى تتوافق القلوب وتتآلف.

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 41.

[2]/ المصدر نفسه، ص74.

[3]/ ماراه مراءً، ومماراة: ناظره وجادله ونازعه، وفي التنزيل العزيز في سورة الكهف آية 22"**فلا تُمارِ فيهم إِلّا مِراءً ظَاهِراً**".

[4]/ شاراه، لج في جداله، جادله بقوة.

[5]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص81.

[6]/ جاراه: وافقه وسايره.

[7]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص124.

- وأورد التوحيدي في الحديث عن التآلف الروحي بين الإخوان والأصدقاء قوله صلى الله عليه وسلم: " **الأرواح جنود مجندة تتلاقى في الهواء فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**".[1]

- وعن الألفة بين الأصدقاء، وأن المؤمن هو خير من يؤلف ذكر التوحيدي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**المؤمن مألفة**".[2]

- وعن التهادي والتصافح أورد التوحيدي من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "**تصافحوا فإن التصافح يذهب غل الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب السخيمة**"[3]، وذكر وذكر في موضع آخر من رسالته حديثا آخر مقاربا لمعنى الحديث السابق متمثلا في قوله صلى الله عليه وسلم: " **تهادوا تحابوا**"[4]، فالتهادي والتصافح والتحاب أمور جعل منها التوحيدي –استنادا لرسول الله صلى الله عليه وسلم– حقا ملزما على كل مسلم حتى تقوى الصلات بين الناس وتتوطد العلاقات.

- أما فيما يخص التودد إلى الناس وكسبهم عن طريق حسن المعاملة واللين فقد عدّه النبي صلى الله عليه وسلم من فعل العقلاء وتصرف النبهاء، أورد التوحيدي حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم دون أي تعليق أو إثراء، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله: "**رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس**".[5]

- وفيما يخص الجليس الصالح وجليس السوء لم يتغافل التوحيدي عن الحديث المعروف عن الموضوع فذكره في كتابه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "**مثلُ الجليس الصالح كمثل الداري إن لا يُجدك بعطره، يُعلقك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القيْن إن لا يحْرِقك بشرره، يؤذك بدخانه** ".[6]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 124.

[2]/ المصدر نفسه، ص 120.

[3]/ المصدر نفسه، ص 181.

[4]/ المصدر نفسه، ص201.

[5]/ المصدر نفسه، ص223.

[6]/ المصدر نفسه، ص248.

فهذا التشبيه الرائع الذي عقده النبي صلى الله عليه وسلم بين الجليس الصالح والعطار، وبين جليس السوء والحداد، وهذا التشبيه يُبين أثر كل من الصنفين من الأصدقاء في حياة الفرد.

- وفي المفاضلة بين الصديقين، روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ما تحاب رجُلانِ إلا كان أفضلهما أشدّهُما حُبّاً لصاحبه**". [1]

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم انتصر مفاضلته بين الصديقين للصديق الذي يكون حبّه لصديقه أقوى.

وغاية التوحيدي في هذه المواضع كلها من استشهاده بأقوال النبي إنما يثبت ما قاله أن للصداقة حقوق لا تثبت وتتوطد إلا بحضورها في علاقتك بالآخر.

2-أقوال الصحابة

وكما قلنا سابقا فالتوحيدي استشهد في هذه الرسالة بكلام الله عز وجل، وبحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وبأقوال الصحابة الكرام، ومن هذا الصنف الأخير استخرجت بعضا من الأقوال وأوردتها كالآتي:

- أورد التوحيدي للدلالة على تأثر الصاحب بالصاحب، قول عبد الله بن مسعود : "**ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب**".[2]

نلاحظ في هذا القول شبها للقول المعروف" قل لي من تصاحب أقول لك من أنت"، وحقيقة معظم الصداقات تبنى بين الأشخاص المتشابهة في الأفكار والميول والطباع.

- وفي حق الصديق ذكر التوحيدي قولا للإمام علي رضي الله عنه، إذ قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "**قليلٌ للصديق الوقوف على قبره**".[3]

- وفي تشبيه رائع له مغزى عميق قال التوحيدي: "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**الإخوان بمنزلة النار، قليلها متاع وكثيرها بوار**".[4]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص256.

[2]/ المصدر نفسه ، ص40.

[3]/ المصدر نفسه، ص42.

[4]/ المصدر نفسه، ص49.

وفي هذا التشبيه إشارة واضحة إلى ضرورة التقليل من اتخاد الخلان والأصدقاء، فالقليل منهم له فائدة ووقع جيد وأثر حسن كقبسة النار التي تستغل للطهي أو للتدفئة أو الاهتداء بها في ظلمة الليالي، أما العدد الكبير مهنهم فيحدث المشاكل والخلافات فيكون بذلك كالنار العظيمة المنتشرة التي تسبب الفساد والخسارة وتأتي على الأخضر واليابس.

- وفي هذا الشاهد الذي أورده التوحيدي، وهو قولٌ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول فيه: "**شر الإخوان من تكلف له، وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به، وأهدت إليه غيبته طمأنينة إليه** ".[1]

فحسب الإمام علي –رضي الله عنه– فإن أسوأ الخلان الخل الذي يتكلف ولا يبدي العفوية، أما أحسنهم فهو الذي تحس بالثقة والطمأنينة بمجرد النظر إليه ,ان تبقى هذه الطمأنينة حتى بعد غيابه.

- وفي حق الجليس استشهد التوحيدي بقول أبي بكر الصديق: "**حقّ الجليس إذا دنا أن يرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدّث أن يُقبل عليه، وإذا عثر أن يُقال، وإذا أنقص أن يُنال، وإذا جهل أن يُعلّم**". [2]

- وحوت رسالة الصداقة قولا لأبي هريرة: "لقد دارت كلمة العرب: **زُرْ غِبا**[3] **تزدد حبا، إلى أن سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولقد قالها لي** ".[4]

- وفي كتاب لعمر بن الخطاب إلى سعد أورده التوحيدي في كتابه جاء: "**إن الله إذا أحبّ عبدا حبّبه إلى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن مالك عند الله مثل ما لله عندك. وقالوا إذ أحبّ الله عبدا ألقى مودته على الماء فلم يشرب منه أحدٌ إلا أحبّه، وإذا أبغض الله عبدا ألقى بُغضه على الماء فلم يشرب منه أحدٌ إلا أبغضه**".[5]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص61.

[2]/ المصدر نفسه، ص62.

[3]/ غبّ يغبُّ غِبّاً: جاءه زائرا بعد أيام، غبّ عنه: أتاه يوما وتركه آخر.

[4]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص120.

[5]/ المصدر نفسه، ص211.

- أحسن الناس من يألف ويُألف، وأسوؤهم من يتحاشى ويتفادى الناس، وفي هذا المعنى أورد التوحيدي قولا لمعاذ بن جبل: "**خيرُ الرجال الألوف وشرّهم العزوفُ**".[1]

- ومن جملة موطدات العلاقة بين الأفراد ما ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا القول رصده التوحيدي في رسالته عن الصداقة، فقال عمر بن الخطاب: "**مِمّا يُصفي لك ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الكُنى إليه**".[2]

3/ الشعر العربي

يعتبر الشعر ديوان العرب وسجل أمجادهم وانتصاراتهم ويمكن القول حياتهم بصفة عامة، نظمه الشعراء على مرّ الأزمنة وأبدعوا في ذلك أيما إبداع وتهافت غيرهم على حفظه والتغني به في مختلف المجالس، واستشهد به الكتاب والمؤلفين والخُطاب في منتوجاتهم النثرية على مر العصور، فهذا التوحيدي مثلا –في القرن الرابع الهجري– استشهد به في مختلف مؤلفاته، وسجل الشعر حضورا قويا في مؤلفه الصداقة والصديق، فقد استشهد بالعديد من الأبيات الشعرية في مختلف المواضيع؛ في إثبات علاقة الصداقة، صفات الصديق الجيد وعن جزاء المودة وكذلك في نفي الصداقة أو هجاء الصديق...

- من الشعراء من عدّ مخالطة الناس شرٌ، وهذا نفي ضمني لانعدام الصداقة وخلو الحياة من صديق وفيّ، كان ابن كعب يقول: لا خير في مخالطة الناس، ولا فائدة في القرب منهم، والثقة بهم والاعتماد عليهم، ولذلكم قال الأول:[3]

إخاءُ النّاسِ مُمْتزجُوأكبرُ فِعلِهم سمجُ**

فقوّمُمْ بهجرهمْفإن لمْ يُهجروا اعْتَوجُوا**

- من الأبيات الشعرية التي تنفي وجود الصداقة والصديق الوفي ما أنشد أبو إسحاق بن هلال الكاتب الصابي في إخوان زمانه:

أَيَا رُبَّ كُلُّ النَّاسِ أَبنَاءُ عِلَّةٍ* أَمَّا تَعْثِرَ الدُّنْيا لَنَا بِصَدِيق**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص213.

[2]/ المصدر السابق، ص284.

[3]/ يُنظر: المصدر نفسه، ص36.

وُجُوهٍ بِهَا مِنْ مُضْمَرِ الْغُلِّ شَاهِدُ* ذُوَاتٍ أُدِيمُ فِي النِّفَاقِ صَفِيقَ**
إِذَا اعترضوا دُونَ اللِّقَاءِ فَإِنَّهُمْ* قَذى لِعُيُونٍ أَوْ شَجًى لِحُلُوقِ**
وَإِنَّ أَظْهِرُوا بُرْدَ الْوِدَادِ وَظِلَّهُ*أَسِرُوا مِنَ الشَّحْنَاءِ حُرَّ الْحَرِيقِ**
أَلَا لِيتَنِي حَيْثُ انتوت أَفْرَخُ الْقَطَا بِأَقْصَى مَحَلٍّ فِي الْفَلَاةِ سَحِيقَ**
أَخُــو وَحْدَةٍ قَدْ آنستني كأنني* بِهَا نَازِلٌ فِي مَشْعَرِي وَفَرِيقِي**
فَذَلِكَ خَيْــرٌ لِلْفَتَى مِنْ ثوائه* بِمَسْبَعَةٍ مَنْ صَــاحِبُ وَرَفِيقُ**[1]

الأغلب أن وجهة نظر التوحيدي من وجهة نظر الشاعر، والشاعر يرى أن الصديق غير موجود لأن نفوس الناس ممتلئة بالشرير وأن أظهروا على وجوههم عكس ذلك، يرى الشاعر أنّه من الأحسن تجنب مخالطة الناس وقصد مكان خالي كالصحراء فهذا المكان أأمن من أرض تشابه فيها السبع والصديق.

- ذكر التوحيدي شاهدا وذكر قائله، وهذا الشاهد يقوي رأيه ويدعم قوله بأن الصداقة وإن وجدت فهي عملة نادرة ولو تغرب الناس بحثا عنها، وجعلها من الأشياء النادرة مثلها مثل بيض الأنوق أي العقاب، فالمثل يقول "أعز من بيض الأنوق":

تَغَرَّبْتِ أَسَالَ مَنْ قَدْ رَأَى* مِنَ النَّاسِ هَلْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقِ**
فقالوا عَزِيزَانِ أَنْ يُوجِدَا* صَدِيقَ صَدُوقٍ ، وَبِيضَ الْأَنُوقُ**[2]

- أما عن الصداقات التي لا تحمل في طياتها معاني الود والحياء والمروءة فهي صداقات زائفة على حد تعبير سعية بن عريض اليهودي :

وَإِذَا تَصَاحُبِهُمْ تُصَاحِبُ خَانَةً* وَمَتَى تَفَارُقُهُمْ تَفَارُقِ عَنْ قِلى**
إِخْوَانِ صِدْقٍ مَا رأوك بِغِبْطَةٍ فَإِذَا اُفْتُقِرْتِ فَقَدْ هَوَى بِكَ ما هوى**[3]

- ثمّ إنّ حسن اختيار الصديق أمر مطلوب لضمان السلامة، فربّ عدو جاهل أأمن لك من صاحب جاهل، فالأول يمكنك مكاشفته ومغالبته، لكن الثاني تعجز عن مكاشفته حياء وإبقاء على الود بينكما، وفي هذا المعنى، يقول صالح بن عبد القدوس:[4]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص 37.

[2]/ المصدر نفسه، ص193.

[3]/ المصدر نفسه، ص 154.

[4]/ المصدر نفسه، ص38.

عَدُّوكَ ذُو الْعَقْلِ أَبْقَى عَلَيكَ مِنَ * **الصَّاحِبِ الْجَاهِلِ الْأَخْرَق**
وَذُو الْعَقلُ يَأْتِي جَمِيلٌ الأمو *** **ر وَيَعْمِدُ للأرشد الأنوق**

- كما وظف التوحيدي نصوصا شعرية أراد من خلالها رسم صور مضيئة عن الأصدقاء والصداقة، بل ويفصح عن حاجتهم للصداقات رغم أن التوحيدي لم يفصح عن صاحب الأبيات يقول:

أَنْتُمْ سُرُورُي وَأَنْتُمْ مُشْتَكَى حُزْنِي * **وَأَنْتُمْ فِي سَوادِ اللَّيْلِ سَمَّارِي**
أَنْتُمْ وَإِنَّ بَعُدْتِ عَنَا مَنَازِلُكُمْ **** **نَوَازِلُ بَيْنَ أَسْرَارِي وَتَذْكَارِي**
فَإِنَّ تكلمت لَمْ أَلَفْظَ بِغَيْــرَكُمْ ***وَإِنَّ سكتّ فَانْتَمِ عُقَدَ إِضْمَارِي**
اللهِ جَارِكُمْ مِمَّا أَحاذَرُهُ فِيكُمْ* **وَحُبَّي لكَمْ مِنْ هَجْرِكُمْ جَارِي**[1]

- واستبعد التوحيدي قيام العلاقة الجيدة بين الناس لأن المصلحة قد غلبت عليهم وأورد في هذا المعنى قول شاعر لم يذكر اسمه إذ قال: قال آخر:

ذَهب التواصُل والتعارُف ***فالناس كُلُهم مَعَارف**
لمْ يبقَ منهُم بينهُم ***إلّا التَملّقُ والتواصُف** [2]

- ولأن الصداقة الحقيقية لا تقوم بين الناس إلّا برعاية الوفاء والود ولذلك كتب الزهيري إلى ابن السكن صديقه وقد نأى عنه بالمسافة ما أورده التوحيدي في رسالته، حيث يقول الزهيري:

لَئِنْ غَابَ عَنْ عَيْنَي شَخْصَكَ بِالنَّوَى * **لَمَّا غَابَ عَنْ قَلْبِي الْمُصافاةِ وَالْوَدَّ**
وَلَا نُسِيتِكَ النَّفْسَ مِنْي سَــاعَةً ***وَلَا انْتُفِضَ الْمِيثَاقُ وَالْوَدَّ وَالْعَقْدَ**[3]

- والاهتمام بشؤون الصديق والعناية بأمره أمر لابُد منه في علاقة الصداقة بل وهو شرط أساسي فيها، يقول الشاعر:

فمَا مِنْك الصديقُ ولستَ منهُ ***إذا لم يعنهِ شيءٌ عناكا**[4]

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص38.
[2]/ المصدر نفسه، ص40.
[3]/ المصدر نفسه، ص188.
[4]/ المصدر نفسه، ص62.

- ورُغم بُعد المسافات بين الصديق وصديقه فحضوره في الفكر والقلب حفظ لما بينهما من الود، وصدق الشاعر حينما قال:

لَئِنْ غِبْتِ عَنْ عَيْنَي بِالْبُعْدِ وَالنَّوَى* لَمَّا غِبْتِ عَنْ فِكْرَي وَعَنْ نَاظِرِ الْقَلْبِ
أَرَاك عَلَى بَعْدَ الْمَسَافَةِ بَيْنَنَا*** كَمَا تَبصُّرَ الْعَيْنَانِ مِنِّي عَلَى الْقُرْبِ[1]**

- وإن تحققت الصداقة وظفر الشخص بصديق وفيّ فالرأي الصواب أن نحفظ العهد، ونتجاوز عن مساوئ الصديق يقول شاعر:

إِذَا كُنْتِ فِي كُلُّ الْأُمُورِ معاتبا **صَدِيقَكَ لَمْ تُلْق الَّذِي لَا تُعَاتِبْهُ
فعِشْ وحيداً أَوْ صِلْ أَخَاك فإنّهُ*مُقارف ذنب مرّةً ومُجانِبُه[2]**

- وقال شاعر آخر حاثا على العفو:

فلا تَقْطعْ أخاكَ من أجلِ ذنْبٍفإنّ الذنبَ يغْفرُه الكريمُ**

- ثم إنّ الصداقة لا تتم إلا بتوافق روحي من الطرفين، ولا تثبت إلا باللين والمسامحة والمداراة عن العيوب والأخطاء وترك العتاب، ولقد أحسن شاعر في قوله:

وكنْتُ إذا الصَّدِيقُ أُرَادُّ غَيْظَ وَأَشْرُقُنِي عَلَى حَنَق بَرِيقِي**
عَفَوْتِ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتِ عَنْه مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بَلَا صَدِيقُ[3]**

- وفيما يخص مسألة الموافقة بين الصديقين فإن الصداقة حسب التوحيدي لا تتم إلا بتوافق روحي بين الطرفين، وعن عدم الانسجام بين الطرفين ذكر التوحيدي بيتا لشاعر مضمونه:

ولا خيْرَ في ودِّ امرئٍ مُتكارهٍ*عليك، ولا في صاحِبٍ لا تُوافِقُه[4]**

- كما أورد التوحيدي أبيات شعرية لشاعر يُعدد فيها شروط الإخاء والصداقة:

تودّ عدوي ثم تزعمُ أنني صديقكَ، ليس النوك عنك بعازبِ**
وليس أخي منْ ودّنِي رَأيَ عينِهلكنْ أخي من ودّني في المغائبِ**
ومن ماله مالي إنْ كان مُعدماومالي له إن عضّ دهرٌ بغاربِ**

---

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص51.

[2]/ المصدر نفسه، ص115.

[3]/ المصدر نفسه، ص269.

[4]/ المصدر نفسه، ص116.

فمن شروط الصداقة حسب قول الشاعر عدم مخالطة عدو الصديق والابتعاد عنه، ذلك أن الصديق الحقيقي هو الذي يحافظ على الود والصداقة في غياي الصديق، لا بل ويتعدى الود والمحبة إلى المساعدة المادية وقت الحاجة.

- وهذا شاعر آخر يدعو إلى التمسك بأخلاء الشدائد وأصدقاء الضيق إذا ما امتحنوا وتبينت معادنهم فيقول:

الْأَخِلاَّءُ فِي الرَّخَاءِ كَثِيرً * فَإِذَا مَا بَلَوْتِ كَانُوا قَلِيلًا**

وَإِذَا مَا أصبت خَلَا حَفِيظَا * رَاعِيَا لِلْإِخَاءِ بَرًّا وَصُولَا**

فَتَمسَّكَ بِحَبْلِهِ أَبَدِ الدَّهْرِ ** وَأُكَرِّمُ بِهِ أَخَا وَخَلِيلًا** [1]

وبحق يعد أبو حيان التوحيدي مفكرا كبيرا من مفكري العرب في القرن الرابع الهجري، وكان هذا سببا في أن يصفه أشهر من ترجم له –ياقوت الحموي– بأنه "فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة"، وقد تتلمذ التوحيدي على يد جهابذة عصره في علوم اللغة والفلسفة والفقه مثل أبي سعيد السيرافي والرماني وأبي زكرياء يحي النصراني... ولا تعجب ولا دهشة إذا تأثر بأسلوبهم من حيث الاستشهاد عن طريق ذكر الآيات القرآنية وغيرها، إذ كان للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، وأبيات الشعر والرسائل والتوقيعات، الأمثال وأقوال الفلاسفة والحكماء والعلماء، ومختلف الأخبار...حضورا في منهجه، و عليه يمكن القول أن هذا النتاج الأدبي النثري –نقصد كتاب الصداقة والصديق– قد تكوّن واكتمل أخذا واقتباسا من نصوص أخرى، وهذا ما أكسبه جمالية وحيوية.

[1]/ التوحيدي، **الصداقة والصديق**، ص269.

خاتمة

في ختام ما قُدم في هذا البحث حول قيم الصداقة في رسالة الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي؛ أرى لزاما أن أسجل مجموعة نتائج خرجت بها لعل أبرزها:

– إن الاهتمام التاريخي بالصداقة وبأثرها في الحياة الإنسانية بالغ القدم، فموضوع الصداقة كان محل اهتمام عدد كبير من الأدباء والمفكرين غير العرب و العرب، نذكر على سبيل المثال الكتاب الذي كتبه أرسطو إلى ابنه "علم الأخلاق إلى نيقوماخوس"، والباب الذي كتبه ابن المقفع بعنوان "في معاملة الصديق"، ضمن كتابه "الأدب الكبير".

– إنّ التوحيدي كان شاهدا على عصره بكل حيثياته، وقارئا لبيئته بكل جوانبها الفكرية والاجتماعية والأدبية.

– لقد امتاز التوحيدي بعبقرية خاصة، فقد كانت له القدرة على الجمع بين الوعي الفلسفي والأدبي الرفيع والتمكن من الاختيار، هذه القدرة ساعدته على أن يكون أدبه متميزا.

– عاش التوحيدي في رحلته للبحث عن الصديق متأرجحا بين الممكن والمأمول في تحقيق الصداقة، بين المقبول والمرفوض في صفات الصديق، وبين التخلي عن الأصدقاء وضرورة تواجدهم في حياة الإنسان، خاصة إذا كان الإنسان قد أخرجته البيئة من حسابات السلطة وبلاطات الأمراء والوزراء، وهذا ما لاحظناه بين ثنايا مؤلفه.

– في الصداقة يتأرجح التوحيدي بين الأمنية والواقع، فهو يعترف بقيمة الصداقة وأهميتها، ويصورها كيف تكون من حيث هي ضرورة إنسانية، لكن الواقع الذي يعيشه ويرصده يصور غير ذلك، فيقرر أن الصداقة معدومة وليس لها وجود في حياة الناس هذا ما جعله في غربته غريبا.

– رسالة الصداقة والصديق من أروع ما كتبه أبو حيان التوحيدي، وهو مؤلف أدبي بامتياز يدور موضوعه حول الصداقة والصديق، ويضم أقوال الحكماء والأدباء والشعراء والفلاسفة في شروط الصديق ومزايا الصداقة وخيانة الأصدقاء وغيرها...

– رسالة التوحيدي أشبه بكتب الاستشهادات الأدبية ولكنها لا تدور حول مواضيع عدة بل حول موضوع واحد، ففي هذه الرسالة جمع التوحيدي دون ترتيب واضح كل ما سمعه أو قرأه عن فكرة الصداقة من العصر الجاهلي إلى العصر الذي عاش فيه.

– على الرغم من أن المدونة تتميز بوحدة موضوعها (الصداقة)، إلا أن مادتها زخمٌ من النصوص الشعرية والنثرية، كما شملت الرسالة مختارات من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام صحابته وآل بيته الأطهار، كل هذه الخطابات المتداخلة جاءت غير مرتبة ومن دون منهج منظم.

– العمل الإبداعي المتمثل في "رسالة الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي لم ينتج منقطع الصلة عن غيره من الموارد، فقد تشكل واكتسب معالمه الجمالية من احتوائه بداخله نصوصا أخرى يحاورها ويعيد إنتاجها سواء كلها أو جزء منها، فقد اكتسبت الرسالة حياة وحيوية بانفتاحها على مختلف الأنواع الأدبية مثل: الشعر والمثل والحكمة.

– مضمون رسالة الصداقة والصديق يدور حول رؤيتين أساسيتين: الأولى انعدام وجود الصديق ونفي الصداقة، والثانية حقوق الصديق وتقريظ الصداقة.

– كانت موارد رسالته متنوعة، والسمة الغالبة على تلك الموارد الروايات الشفوية التي كان لها حضور واضح في كتابه، ذلك أن أصل الرسالة مشافهة.

– تمكن التوحيدي وقدرته من معالجة قضية الصداقة معالجة أدبية فنية، وفلسفية نفسية، أظهرت مقدرته على التغلغل في النفس الإنسانية، ومعرفته الدقيقة على نوازع الإنسان وأحاسيسه.

ومع هذا كله تبقى هذه الزاوية التي فتحتها جزءا يسيرا يحتاج لجهد أكبر لأن في أدب التوحيدي الكثير من الأسرار إن كان على مستوى اللغة أو الأسلوب أو الفكر تحتاج لدراسات أخرى، كما تحوي الرسالة إغراءات بمباحث لسانية تشكل آفاق واسعة للبحث.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقتُ في دراسة هذا الموضوع وأتمنى أن ينال رضاكم، وإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أ/ المصادر:

1. التوحيدي أبو حيّان، رسالة الصداقة والصديق، تح: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان،ط2، 1998.
2. التوحيدي أبو حيان، الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمان بدوي، ج1، القاهرة، 1950.
3. التوحيدي أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي،2017.

ب/ المعاجم والقواميس:

1. الأنصاري محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1996.
2. الحموي ياقوت، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تح: إحسان عباس، بيروت ط1،1993.
3. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ضبط وتخريج: مصطفى ديب البغا، بيروت، 1985.
4. سلوم توفيق ، يمريموفا ناتاليا، معجم العلوم الاجتماعية: مصطلحات وأعلام، بيروت، لبنان، 1992.
5. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي الإسلامي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2000.
6. صليب جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982.
7. طرابيشي جورج ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 2006.
8. العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

9. القزويني أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مج3، دار الجيل بيروت، ط1، 1991.
10. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2003.

ج/ المراجع:

11. إبراهيم وسيم ، نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دمشق ط1، 1994.
12. أسامة أبو سريع، الصداقة من منظور علم النفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.
13. البحتري، ديوان ، شرح حسن كمال الصيرفي، دار المعارف مصر، مج 1، ط3.
14.بلبع عبد الحكيم ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دت.
15. بن المقفع عبد الله ، تح محمد حسن نائل المرصفي، الأدب الكبير، مكتبة الجامعة الأمريكية، القاهرة،1331ه.
16. السلامة حمود بن عبد الله و إبراهيم بن حسن الدريعي، الأدب العربي للصف الثاني ثانوي، المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم- التطوير التربوي-، المملكة العربية السعودية، 2008م.
17. السهرورَدي أبو النجيب عبد القاهر ، آداب المُريدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013.
18. عبد الهادي، أحمد أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
19. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، بداية الهداية، دار المنهاج، لبنان، بيروت، ط1، 2004.
20. الغيطاني جمال، خلاصة التوحيدي، المجلس الأعلى، القاهرة، 1995.
21.كرد علي محمد، أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1.
22. الماوردي أبو الحسن علي ، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط1، 1434ه- 2013.
23. مبارك زكي ، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.
24. المجذوب أحمد ، الصداقة والشباب، الدار المصرية-اللبنانية، بيروت، 2001م.

25. مسكويه أبو علي أحمد بن محمد ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر، 1329ه.
26.ميتز آدم ، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب الغربي، بيروت، لبنان، ط5.
27.واتيكي كميلة، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، دار قرطبة، المحمدية، ط1،2004.

د/ الرسائل والمذكرات:

28. برجي عبد القادر ، القضايا اللسانية في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009.
29. جوهري سعاد ، بلاغة الخطاب النثري عند أبي حيان التوحيدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس،2017.

ه/ المجلات والدوريات:

30. **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، ع32،2000.
31. **مجلة جامعة دمشق**، مج28، ع2، 2012.
32. **حولية كلية اللغة العربية**، جامعة الأزهر، مج 13،ع5، ديسمبر 2009.
33. مجلة **وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية**، مصر، المقال السادس، 2019.
34. **حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية**، جامعة الأزهر، ع37.

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعـــات :

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الصداقة ماهيتها وآراء المفكرين و الأدباء فيها.	
تمهيد	6
1- مفهوم الصداقة.	6
1-1 مفهوم الصداقة في كتب اللغة.	6
1-2 الصداقة في الاصطلاح الفلسفي والاجتماعي.	9
1-3 الصداقة في مجال علم النفس.	10
2- الصداقة في التراثين اليوناني، والعربي الإسلامي.	12
2-1 الصداقة في التراث اليوناني.	12
2-2 آراء المفكرين العرب في تعريف الصداقة وشرح خصائصها.	21
3- الصداقة والصديق في الشعر العباسي.	32
3-1 من شعر الاعتزاز بالأصدقاء والداعي إلى اتخاذهم.	32
3-2 الدعوة إلى الإكثار من الأصدقاء.	33
3-3 التأكيد على حسن اختيار الصديق.	33
3-4 الاحتراس من الصديق.	35
3-5 مظاهر عتاب الصديق في الشعر العباسي.	35
3-6 عتاب الأصدقاء شفاء للصداقة.	38
3-7 جحود ونكران الأصدقاء وإفشائهم الأسرار.	39
3-8 الإغماض عن عثرات الأصدقاء والصفح والغفران لهم.	40
الفصل الثاني: خصائص الرسالة ومضمونها وموضوعاتها.	
تمهيد	42
المبحث الأول: عصر أبي حيان التوحيدي ومميزات النثر الفني فيه.	44

1- الإطار الحضاري لعصر التوحيدي.	44
2- سمات الحركة العلمية والأدبية في القرن الرابع الهجري.	48
3- تطور فن الكتابة في القرن الرابع هجري.	50
4- خصائص النثر الفني في كتابات التوحيدي.	53
المبحث الثاني: التعرف على الرسالة ومضمونها العام.	56
1- التعريف بالرسالة.	56
2- تحقيق الرسالة .	56
3- سبب وتاريخ تأليف الرسالة .	57
4- طريقة عرض الرسالة ومضمونها العام.	59
المبحث الثالث: ماهية الصداقة عند التوحيدي.	63
1- مفهوم الصداقة عند التوحيدي.	63
2- شروط الصداقة ومعيقاتها عند التوحيدي.	66
3- نظرة التوحيدي التشاؤمية للصداقة.	69
4- متفرقات من رسالة الصداقة والصديق.	75
المبحث الرابع: مصادر رسالة الصداقة والصديق.	78
1-القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.	78
2- أقوال الصحابة.	84
3- الشعر العربي.	86
خاتمة	92
قائمة المصادر المراجع.	95
فهرس الموضوعات.	99
ملخص	

ملخص:

الرسالة بعنوان" أدب الصداقة في العصر العباسي–رسالة الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي نموذجا–"تتضمن مقدمة، فصلين، وخاتمة، الأول منها حول ماهية الصداقة وحضورها في الأدب شعره ونثره خاصة في العصر العباسي، والثاني يتناول عصر التوحيدي، أسلوب التوحيدي والمعايير الفنية التي انتهجها في كتاباته الأدبية والفلسفية، ثم دراسة تطبيقية لواحد من مؤلفاته النفيسة في الأدب "**رسالة الصداقة والصديق**"، دراسة تكشف عن المواطن الأدبية فيه، والمضمون العام للرسالة، ومنهجها، ثم الخاتمة .

الكلمات المفتاحية:

الصداقة والصديق، رسالة، أبو حيان التوحيدي، أدب الصداقة، القيم، المضمون العام.

Résumé :

La thèse intitulée « **la littérature d'amitié pendant la période Abassi-lettre modèle d'amitié et d'ami d'Abi Hayan El Tawhidi** », elle contient une introduction et deux chapitres et une conclusion.

Le premier chapitre traite la nature de l'amitié, et sa présence dans la littérature arabe-poème et prose- en particulier pendant la période Abassi, **le second** chapitre traite l'époque d'Abi Hayan El Tawhidi la méthode du monothéisme et des normes techniques qu'il a poursuivie dans ses écrits littéraires et philosophiques, suivi à une application de sa précieuse œuvre littéraire « la lettre d'amitié et d'ami » cette étude relève ses caractéristiques de la rhétorique littéraire dans ses discours, et **la littérature d'amitié** de cette œuvre, et la méthode de cet écrivain .Et une **conclusion.**

Mots clé :

L'amitié et l'ami, lettre, Abi Hayan El Tawhidi, la littérature d'amitié, les valeurs, la littérature d'amitié.